نعمات أحمد فؤاد
ماجستير في الآداب

ناجي الشاعر

رابطة الأدب الحديث بالقاهرة
١٩٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

المطبعة المنيرية بالأزهر

المقـــدمة

لقد كتب الكاتبون قبلى عن الدكتور إبراهيم ناجى الشاعر أو الروح الحساسة الرقابة المعبرة . . . واليوم سوف أضيف إلى رأيهم الجميل فيه – رأى النقد ...

لقد شكا الطبيب الشاعر من ظواهر غريبة بدت فى الجو الأدبى ، أولها : إبهام فى القيم ، وغموض فى المقاييس ، وثانيهما : وهو المهم اختفاء النقد بالذات من عالم الأدب . . .

هناك إنتاج أدبى ضخم بدون شك ، ولكن هذا « الترف من الفوضى » على حد تعبير جوفرى ويست ، أو بعبارة أخرى هذه البضائع المكدسة فى أسواق الأدب ، بلا ضابط ولا صيرفى يبين صحيحها من زائفها ، يدل على أننا فى عصر متسم بخاصية من عدم المبالاة ، وعدم الإلحاح فى إيجاد روابط ، وضوابط[1] .

هذه الصرخة التى ندت عن شفتى الشاعر تحفزنى إلى نقد شعره استجابة لدعوته وتلبية لندائه . . . تحفزنى إلى نقد شعره ذلك النقد الذى وصفه بأنه « وعى الفن » . . . إن « ناجى » يرى أن (الفن يبلور القيم الإنسانية ، أما النقد فيجلو هذه القيم المتبلورة للأنظار)[2]

على ضوء هذا التعريف الصادق للنقد ، سأمضى بإذن من الله وتوفيق ، فى نقد شعر ناجى الذى حسب أن الناس ستنساه . . . وأفزعه هذا الخاطر عندما مرض وشعر أنه ينتهى فقال :

---

(١) كتاب رسالة الحياة الدكتور ناجى ص٧٩ – ٨٠

(٢) المرجع نفسه ص ٨٣

قف تأمل مغرب العمر وإخفاق الشعاع
وابك جبار الليالى هـده طول الصراع
واضياع الحزن والدمع على العمر المضاع
وهتاف القلب بالشكوى على غير انتفاع
ما يهم الناس من نجم على وشك الزماع
غاب من بعد طلوع وخبا بعد التماع(١)

لقد كان ناجى نجما خبا بعد التماع ، ولكن اسمه عندنا لم يخب له ضياء ، ولعل هذه الصفحات تطمئنه فى مثواه على اهتمام الناس به وحفظهم لتراثه وذكراه ، مادام الحزن لا يجدى ، والدمع لا يغنى شيئا عن العمر المضاع ...

(١) الدكتور ناجى ، ديوان وراء الغمام ص ٥١

لمحة من حياة

حقول خضر، ومروج فيح، تنبسط على مدى الطرف غناء متماوجة، وعلى جانبيها قامت الأشجار، كأنها متجردة لحراسة النعمة التى أغدقها الله فى تلك البقعة بغير حساب . . .

وفى وسط تلك الجنة بنوارها وأشجارها وغدرانها وطيورها الغريدة، قام بيت، عليه من النعمة جمال ضاف، وظل فينان. وكأن تلك المروج لم تشبع الحاسة الفنية فى أهله، فأحاطوها بحديقة نسقوها على هواهم، ووشوها بذوقهم، لتزيد جمال المكان كله إشراقاً، وخضرته نضرة، ونعيمه راحة، وترفه فنا وعطرا وسحرا . . .

وكان فى الحديقة ساقية تئن، لأنها تروى هذا الجمال كله وتنميه، وبها حاجة إلى إرواء.. مسكينة تلك الساقية تمتلىء بالماء لتسكبه ثم لا يبقى فى جوفها الحيران شىء ... ما أقرب حالها وأشبه حظها بالعيس التى يقتلها الظمأ والماء على ظهرها محمول ... إن الأشياء كالناس: فيها السعيد وفيها الشقى . . . وفيها الحران وفيها من يزيد على حاجته الرى . . .

ولكن ساقية الحديقة لا تدرك هذا، فهى تئن أنينا متصلا يضيع فى زحمة النهار وصخبه، ويتميز فى الليل الساجى، حتى ليخيل إليك أنه ينبعث لساعته رتيبا حزينا شجيا ... ولما كان الأسى يبعث الأسى فان ساقية الحقل كانت من وراء جدران الحديقة تتجاوب مع زميلتها بمثل أنينها وشكواها، هنا يفضفضان إذ يظنان أنهما فى الليل حيث لا يراهما أحد، ولا يسمعهما أحـــد . . .

فى ذلك البيت بجوه القاغم ، وأنسه الناغم ، ولد إبراهيم ناجى ، فزاد أهل شبرا واحدا ، وزاد أهل مصر زيادة لا تحصى ، لأن الوليد شاعر ... وما بالقليل فى الأمة أن يولد فيها شاعر ، فقد انتصر الألمان على الفرنسيين فى الحرب السبعينية ، فهان نصرهم فى عين أحد الفرنسيين الذى تهاتف قائلا : « وما قيمة هذا النصر ما داموا ليس عندهم شاعر كفيكتور هوجو يغنى نصرهم ويخلده ؟ »

ودرج الوليد مع الأيام وبدأ يتعرف على ما فى البيت حوله .. ماهذا؟ إنها مكتبة ضخمة ، صنفها والده بنفسه ، وقد قرأها كتابا كتابا ...

ووعى الغلام هذا الجواب حتى إذا تعلم القراءة هرول إلى المكتبة ل ... يقرأ ... إنه الآن يفتح كتابا هو قصة (عذراء الهند) لمؤلفها أحمد أفندى شوقى بالمعية السنية ... ها هو ذا الصبى تستغرقه القصة وإذا بوقع أقدام فى الخارج ، ثم يدخل والده عليه ... ويرى الوالد القراء ابنه الصغير على تلك الهيئة فتلمع عيناه ويحمد مولاه ، ويربت على الغلام ويتعرف على الكتاب الذى فى يده ، ثم يأخذ مكانه إلى جواره ليحدثه عن قصة عذراء الهند ، ويتطرق الحديث بالطبع إلى المؤلف أحمد أفندى شوقى ، فيقول الوالد : « هذا يا ابنى شاب ستسمع عنه كثيرا فتذكر ما أقوله لك » ، ثم يضيف : « إنه فلتة من فلتات الطبيعة »(١)

أرأيت ؟ كيف يفتح الآباء الأبناء ، وكيف يوحون إليهم ؟

وذات يوم صحب الوالد ابنه إلى طنطا فى مولد السيد البدوى ، فرأى بكتبى رأى فى المولد فرصة ذهبية لتصريف ما عنده ... ووقف الأب يتفقد النفيس المجهول ، فعثر بين الكتب المبذولة بالعرض الغافل على ديوان حافظ إبراهيم ، فالتقطه ونقد الكتبى الثمن ، ثم التفت إلى إبراهيم وقال له : « اقرأ هذا أيضا

(١) الوقائع من مقال للدكتور ناجى عن تاريخ حياته

ولو أن الفرق بينه وبين شوقى كبير — كبير جدا ...)[١]

وفى يوم آخر اصطحب الوالد ابنه الموهوب لزيارة قريب قاطن بحى الإمام الحسين رضى الله عنه — وفى عودتهما اشترى له ديوان الشريف الرضى، وأقبل عليه يقول فى صوت النجى : (هذا رجل عظيم وشعره شعر رجال، عليك بدراسته جيدا)[٢].

ومضيا فى طريقهما حتى مكتبة أمين هندية، فأشار الأب إلى المكتبة وعرف ابنه بها، وقال له (سأشترى لك ديوان خليل مطران ليكون عندك فكرة كاملة عن شعراء مصر)[٣] .. ثم تمهل قليلا وقال : (أما المتنبى فسنقرؤه معا ...)

... ...

أتدرى كم كان عمر الغلام فى ذلك الحين ؟ تخيل ! إن طفلنا كان يبلغ من سنيه اثنى عشر عاما تقريبا ... مستحيل، لماذا ؟ إن الموهوبين كالأهلة لا تحتاج السنين الطويلة لتستدير، بل يكفى بضعة عشر يوماً ليصير الواحد منها بدرا كاملا ...

وحبذا الموهبة يفتحها التلقين المبصر، ويزكيها التبصير الواعى المدرك، ويصقلها التعهد الفنان ...

وهكذا كان والد إبراهيم .. كان قراءه يعرف ماذا يقرأ وكيف يقرأ، كما كان يعرف قيمة الوقت وكيف ينفقه وكيف يضن به على التضييع ...

كان بيته منتدى له ولأولاده يجلس بينهم، ثم تتحلق حوله من فلذاته الندوة ... هنا جو القلب، وهنا أكرم الحب، وهنا يعذب السمر ويطيب الحديث ... وعلى مثل هذه الجلسات يطل الله من عل ليباركها ويضفى عليها

(١ و ٢ و ٣) الوقائع من مقال للدكتور ناجى من تاريخ حياته

السلام والرضا والطمأنينة ... ما أهنأ وما أصفى ...

نعم ما أهنأ وما أصفى ، ولكن التاريخ يحلو له أن ينزل ضيفا على بيوت صانعيه ، ولا يتحرج من مشاركتهم فى شئونهم الخاصة . وحجته أنهم ملكه أكثر مما هم ملك أسرهم أو حتى ملك أنفسهم . وهكذا يأخذ التاريخ مكانه فى تلك الندوة إلى جوار الطفل ناجى ليسجل ...

على كل حال كان الأب مشغولا عن هذا كله ... إن همه أن يقرأ لأولاده روائع الأدب من الشرق والغرب ... ويقرأ حينا ويفسر آنا ويتحدث أحيانا ويكركر فى (الشيشة) آونة أخرى ... ويظل فى مجلسه حتى يحين ليل ويهوّم على الأجفان الصغيرة النعاس ، فيفض الوالد المجلس قبل أن تستسلم للنوم ...

ويأوى الأطفال إلى سررهم لينعموا باحلام الطفولة السعيدة ، ويأوى معهم أخوهم إبراهيم ولكن ... ولكنه لا ينام ... إنه مسحر بما سمع ، وفى نفسه بقية شوق ... إن الحظ حفى به . فقد جعل نصيبه الغرفة المجاورة لغرفة والده ... إن فى مقدوره الآن أن يتابع الإصغاء إلى الصوت الهادىء الجميل الذى يعرف كيف يصور ببدع ساحر ويلون بريشة فنان ما عنده من فنى الفن وطرائف الأدب .

وهكذا يظل صاحبنا الصغير ساهرا لا يغمض له جفن ، يسمع من وراء الجدران ما يقصه والده على أمه مما يكون قد قرأه بنهار ... ويود إبراهيم لو استرسل الوالد السمير يتحدث كشهرزاد إلى الصباح . ولكنه بعد فترة قد تطول أو تقصر يسمع مفتاح النور وهو يمن بنعمته ، فاذا الغرفة ظلام وسكون فيفهم إبراهيم أنها تهيأ للنوم ...

وعلى هذه الطريقة ، طريقة الانتساب إلى الغرفة المجاورة ، سمع شاعرنا وهو طفل (أوليفر تويست) كما سمع كل قصص شرلوك هولمز ، وأغاب قصص رايدار هاجارد ... وكثيرا سواها ...

تفتح الشاعر الموعود للأدب العربي بعد أن تفجر نبعه أمامه ، فاقبل عليه يعب منه عللا بعد نهل ، فلا هو يروى ولا هو يسلو الرشيف ...

واطمأن الوالد وقرت عينه ورأى من كمال الصواب أن يتجه به إلى ناحية أخرى ... إلى الأدب الغربي وهو زلال سائغ يلذ الشاربين ...

وفكر الوالد مليا بماذا يبدأ ؟ ولم يلبث أن اختار الكاتب الإنسان (ديكنز) وأخذ الوالد يقرأ ديكنز ويعلق عليه ويشرحه ... والولد ينظر وقد اتسعت حدقتاه من العجب والإعجاب معا ... إنه القصص الذى يسمع به من الغرفة المجاورة ويشتهى أن يسترسل والده فيه . . .

وفى يوم من أيام الشتاء خرجا معا ... ثم حدث أن جادتهم السماء بالقطر ثم انهمر الغيث ، فأظل الوالد ابنه بمظلته ، وسار الاثنان تحت مظلة واحدة كما تجاورا فى الحياة غصنين فى دوحة واحدة ، ودلفا إلى مكتبة بمصر القديمة ...

أتعرف هذا الكتاب الذى يحمله الوالد . . . دا . . . فيد . . . مه ! انه دافيد كوبر فيلد . . . احدى روائع ديكنز صديقه الجديد . ليت إبراهيم يلتفت إلينا ليرى . . .

* * *

عندى لك مفاجأة أخرى . . . لقد دفع الرجل الثمن وحمل الكتاب ليمضى به والتفت إلى ابنه فاذا به مشغول بقراءة ورقة فى يده . . . وحلا للوالد أن يعرف مافيها . . . أتدرى ماذا ؟ لقد كانت قصيدة غزل ! نظمها هذا الشويعر الصغير . . . أتصدق ؟ على كل حال لقد ضبطه أبوه متلبسا بها ... وأخذ الرجل الأديب يقرأ وهو يخفى ابتساما يصر على التبدى والإنشاء ... ووشى بغبطة الرجل افترار ثغره ، ونم على سروره طلاقة وجهه ، ولكنه تكلف الجد على عادة الآباء وقال له : « هذا أكبر من سنك » . . . ولكن هذه العبارة مدح سافر ، قد يغرى غرور الحداثة فى إبراهيم بالتمادى فى الغزل

حين لايريد الأب هذا . . . ماذا يفعل لقد أردف قائلا : (لاتمعن فى الغزل ، بل أكثر من شعر الحماسة والوطنية) . . .

* * *

إن إبراهيم الآن لايفكر فى شعر الغزل أو شعر الحماسة والوطنية . . . لقد حبس نفسه فى غرفته أياما طويلة . ومعه ديفيد كوبر فيلد والقاموس وأقبل على القصة يقرأ فى نهم رغم اعتراض سيل من الألفاظ الصعبة عليه ، ولكن ماعمل القاموس إذن ؟ كان يكشف عن كل لفظة تبهم عليه حتى لايفوته شىء من المعنى وظل على هذا المنوال حتى التهم القصة كلها التهاما . . . التهمها بعينه ولسانه وعقله . . . كأن الثلاثة فى سباق . . . العين تحدق ، واللسان يرتل ، والعقل يعى ويختزن ويتمثل . . .

وحفظ إبراهيم قصة ديفيد كوبر فيلد وحفظ بحفظها محصولا من كلمات اللغة الانجليزية كان رصيده على الأيام ، حتى استطاع أن ينظم الشعر بالانجليزية قبل العربية . . وحتى استطاع ان يشترك فى مسابقة شعرية ، كانت جائزتها حدس . . . ماهى الجائزة ؟ . . . وحدس أيضا من الفائز . . .

الفائز إبراهيم ناجى ! مرحى . . مرحى . . . بقى عليك أن تتخيل معى الجائزة ؟ لاعليك . . . سأنبئك بها . . . انها مؤلفات . . . دكنز . . . ومن بينها بالطبع القصة المرموقة ديفيد كوبر فيلد !

ديفيد كوبر فيلد القصة التى كتب عنها فى حرارة وإيمان . . .

بعد هذا :

الذى انطبع فى ذهنى هو دافيد كوبر فيلد . لا أعرف السر فى ذلك ، ولكنى أعتقد الآن أن قوة هذه القصة فى انها سيرة صادقة لديكنز بالذات ، عبر فيها أصدق التعبير عن انفعالاته ، وشرح فيها الحب العفيف الراقى أوفى

شرح ، وكنت أنا إذ ذاك فى بدء محاولاتى للشـــعر [١] ، فلم يكن عجيبا ان ينتعش ديكنز فى خيالى بسمو روحه ونقاء قلبه ، مع أنه لم يكن شاعرا ، ولكن الذى كتبه نثرا هو فى الحق أرفع وأغلى من شعر ألوف من الشعراء ..

وماذا فى قصة دافيد كوبر فيلد ؟ إنها تذكرنى – أو على الأقل تجرى فى خيالى – مع عودة الروح لتوفيق الحكيم ... لاشىء غير الصدق والواقع ... قصة غرام قد تنتهى للاشىء ولكنها فى الحياة كل شىء ...

قصة غرام ديكنز بالفتاة (دورا) ... دورا التى كان لا يقول إنها حبيبته بل كان يسميها وجوده العزيز ... أبدع وصف فى لغة الهوى الرفيع ... لم تكن حبيبته فحسب بل كانت (وجوده) جميعا ... كونه الملهم ، وحبه الصافى .. [٢]

إن (ناجى) يصور شعوره بالقصة إذ قرأها أول مرة ... عند ما كان غلاماً فوق العاشرة بقليل ، لقد نفذ وقتئذ إلى ما فى تعبير ديكنز عن الحبيبة بالوجود العزيز ... لم تكن حبيبته فحسب بل كانت (وجوده) جميعا .. كونه الملهم ، وحبه الصافى ...

أرأيت شفافية الطفل وذكاء حسه ، وصفاء نفسه المطبوعة على الحب ، المهيأة له ؟

ولم تكن حبيبته فحسب بل كانت (وجوده جميعا) ...

لقد غاص الصغير فى أعماق الفنان الكبير وعرف سره ووعى قصده ... وما بالقليل وما باليسير هذا ... إن المتذوق يكاد يرتقى إلى مرتبة الفنان ، وهيهات أن يتذوق العمل الفنى شخص عادى غير مزود ولو بقبس بمواهبه الفنان من

---

(١) بضم ديوان الدكتور ناجى (وراء الغمام) قصيدة قالها وهو فى الثالثة عشرة مما يدل على أن محاولاته بدأت قبل هذا .

(٢) مقال للدكتور ناجى بعوان : (كتب أثرت فى حياتى) . . . الجمهور المصرى بتاريخ ١٦/٢/١٩٥٣

موهبة الفن بما تقوم به من حس ونفاذ[١] .

وهكذا كان اليافع ابن الثانية عشرة يدرك مرامى القول الفنى ويحس جماله ... كانت نفسه طلعة وروحه متلهفة تحس وقدة الظمأ ، تواقة تهفو إلى ... شيء .. والفن يخايلها على صورة مكتبة وقاريء ذواق ... إن جدران البيت لا تعترف بغير زينة الكتب ، وصاحب البيت لا يغالى بشيء فيه كتلك المكتبة .. وهو يحاول جهده أن يغرس فى ولده حب الفن ، ويورثه إعزازه للمكتبة .

وفى الحق أن مهمته لم تكن بالعسيرة ، فان الصبى كان شديد الإصغاء إليه سريع الوعى عنه ، سريع التنفيذ لما يقول ...

وانصرم الشتاء ليخلى بين الدنيا وبين فصليها الأثيرين الربيع فالصيف .. وكان والده يؤثر فى الصيف مكس الاسكندرية حيث يلتقى فى هذه الآونة من كل عام بصفيه خليل مطران ...

---

(١) يقول كولنجوود R · G · collingwoob « إن الفنان يضع فى الصورة ألوانا لا نلبث ان نجدها حالما نبصر الصورة . فهل هذا هو كل ما فعله ، اعنى تلوين الصورة ؟ كلا طبعا ، فهو عند ما كان يلونها كان يعيش تجربة نفسية تختلف تمام الاختلاف عن مجرد رؤية الألوان التى يضعها على اللوحة ، كان يعيش تجربة خيالية تكشف عن نشاط كلى وتشبه فى كثير أو قليل ما نشيده لانفسنا عندما نتأمل لوحاته . فاذا عرف كيف يصور ، واذا عرفنا كيف ننظر الى الصورة فان التشابه بين التجربة الخيالية لديه وتجربتنا الخيالية التى تحصل لنا من تأمل عمله يوشك ان يكون تاما . ومن هنا نستطيع ان نقول : إن التجربة التى تحصل لنا من مشاهدة هذا العمل لا تكون هبة نلقاها بقدر ما هى فعل نبذل الجهد فى انجازه . ومن هنا صح القول بان المتذوق يلزمه ان يبذل من الجهد ما يكافيء جهد الفنان »

النص منقول من كتاب (الاسس النفسية للابداع الفنى) للأستاذ مصطفى سويف ص ١٦٦ - ١٦٧ .

ولم يفت ناجى المفتوح العين دلالة الاختيار ، فسأل أباه عن سر غرام مطران بالمكس ... فأسر إليه الوالد الصديق إن (مطران) له قصيدة طويلة عند صخرة المكس ثم قرأ له قصيدته الخالدة « المساء » .

وطرب الصغير ناجى للقصيدة أيما طرب ... وسرعان ما طلب ديوان الخليل ليستزيد ... ولكنه نفد ... ولم يتبق منه إلا نسخة وقد أخذت مكانها بالفعل فى مكتبة المرحوم عبد الهادى (باشا) فأعطاه ابن عمه هذه النسخة ، لا ليقرأها فحسب ولكن ليتعلم منها الشعر الجيد ... وهنا يتواضع ناجى فيقول : (ولست أعلم إن كنت قد نفذت هذا الشرط ؟)

ومضى الغلام بالنسخة حفيا بها ، وانكب عليها حتى حفظها حفظا واعيا ... ثم تولت الأيام بدورها توثيق صلته بالخليل حتى صار يدعوه يا «عمى» ...

وكأنما عز على الأيام أن تتكلف عناء توثيق الصلات ، فانست الناس خليل مطران حتى صاروا لا يذكرونه كثيرا فى مغرب عمره .. ألم تمنحه مودة ناجى .. لها بعد هذا أن تسلب ما تشاء .. هذا هو منطقها ... أو على الاصح هو دستورها ...

* * *

اجتمع ناجى الذى تميزت شخصيته الآن بالشاعر الكبير فى منزل صديق .. وكان مطران شاحب الوجه ، ضارع الجسم كسير القلب ، بادى العلة ولكن الذى كان يمضه أكثر من سواه « الجحود » ، جحود الذين أطربهم فشجاهم فكان جزاؤه منهم « النسيان » ... النسيان فى العمر الذى تتوج فيه أكاليل الغار مفارق حملة المشاعل فى طريق الإنسانية ...

إن « ناجى » فى مجلسه الان يعتصر من أجل مطران ، ماذا تراه فاعلا ؟ أيسرى عنه ؟ وماذا وراء التسرية وما جدوى العزاء ؟ هل فى بضع كلمات دواء الداء ؟ إذن ما أيسر ...

صه ! لقد لمعت فى ذهن ناجى فكرة ... ولم يتريث فى الأخذ بها إذ انطلق ينشد شعر مطران من أوله ... فلاينتهى من قصيدة إلا ليبدأ أخرى والحاضرون مأخوذون ... بجمال الشعر ، أو بروعة المفاجأة لست أدرى ... ولكنهم مسحورون ... ولكنهم مبهورون ... ولكنهم فى صمت بليغ السكون لم يقطعه إلا نشيج مطران الذى بكى من فرط التأثر ، وأخذ يقبل ناجى وهو يقول فى راحة المطمئن ورضا الآمن بعد خوف :

الآن أموت مسرورا ...

ولاء ... لا بل وفاء ... سم صنيعه ما شئت من أسماء ، ولكنه عندى إرهاص العبقرية ، التى تزمع الظهور ، وتمضى فى التكوين .

* * *

وممن قرأهم ناجى وتأثر بهم « شكسبير » لقد كان يحفظ رواياته كلها بل كان يجيد تمثيلها وطالما حاضر عنه .

ومن طرائف ناجى أنه دعى مرة للمحاضرة عن شكسبير فى المعهد البريطانى الذى كان فى المنيا ... وحل الميعاد وهو ذاهل عنه ، ولكن عليه أن ينهض إلى الصعيد ... فركب القطار وأخذ يحاول الكتابة فلم يوفق إلا للنوم الذى غلبه ودفعه فى سخرية الغالب أن يسطر حروفا لم يستطع هو نفسه حل رموزها فيما بعد ...

وقد تعجب إذا علمت أن ناجى الخالى من موضوع المحاضرة قد ذهب إلى المعهد المنتظر ... وحل موعد المحاضرة ! .

وتقدم رئيس النادى إليه طالبا نسخة مما سيقول .. وهنا جلله الخجل وقال له فى صوت خفيض (عندى « بضعة أسطر ») ، وبهت الرجل وامتقع وجهه ، ولكنه ضبط نفسه ولم ينبس بكلمة واحدة ...

واحتشد الجمهور الذى تدافع إلى المكان فى سباق متلهف على سماع المحاضرة القيمة ، لقد أفلحت الدعاية الطنانة التى سبقت ركب ناجى إلى المنيا فى جذب الجموع الغفيرة ...

وامتلأت الصفوف ، وأتلعت الأعناق ، واشرأبت الرؤوس إلى رئيس النادى ، وهو يقدم المحاضر العظيم الدكتور ابراهيم ناجى ...

أتدرى ماذا قال الرجل ؟ لقد ذكر الحقيقة كاملة ... لقد ذكر أن المحاضر نسى أن يعد المحاضرة وأنه حضر من القاهرة إلى المنيا ببضعة أسطر ...

هل نلوم الرجل ؟ كلا ... أنقسره على الكذب ؟ أم نورطه فى وعد الجمهور بسماع ما لا أذن سمعت ؟ لو فعلنا لكنا ظالمين ...

وعرت ناجى دهشة حارمها ، ماذا يقول وكيف يتصرف ... أيعتذر ؟ .. أنه عندئذ العذر الذى يصفونه بأنه كالذنب فى الخلقة أو أقبح ... أيرتجل ؟ .. إنه الارتجال غير المقصود من صاحبه ، وغير المألوف له فى هذا الجو المشحون الذى لا يعين عليه ..

لم يبق إلا أن يزعم ناجى للحاضرين أنه تعمداً لا يكتب عن شكسبير ، لأنه ليس بحاجة إلى الكتابة عنه بعد أن عاش معه فى كتبه زمناً ليس باليسير . فكيف يتحدث عنه من ورقة ؟ .. لباقة بلا شك ... أليس كذلك ؟

ومن الغريب أن (ناجى) صدق زعمه ونسى نفسه ، وأخذ يتحدث ويفيض وكأنه يغترف من نهر ، وسحر بما صار إليه ، فلا هو يتوقف ولا الكلام يغيض ...

تعال معى إلى الصفوف المتواكبة ... ألا ترى السامعين يكادون يحبسون أنفاسهم حتى لا تفوتهم كلمة ؟ ولكن دعهم وانظر إلى ذلك الذى يحملق إلى المحاضر فى ذهول عجيب ، ألا تعرفه ؟ إنه رئيس النادى الذى قدم (ناجى)

منذ ساعة كاسفا آسفا ، وإن دارى ... ولكن حسبه أن يقول : إن المحاضر نسى المحاضرة ولم يكتب إلا بضعة أسطر ... لتفهم الحقيقة كلها ...

على أى حال إن الرجل الآن لا يكاد يصدق ...

واسترسل ناجي حتى أوفى ، فاذا بالتصفيق يدوى فى المكان كله ، وإذا بالرئيس المذهول يثب إلى المسرح ويضم (ناجى) ويقبله ويطرى : « المصرى الذى يعرف شكسبير كل هذه المعرفة » .

... ...

أما قصة (التلميذ) للكاتب الفرنسى بورجيه فلها قصة سأدع ناجي يرويها لك حتى لا يفوتك ما فى طريقته من إطراف .

(ملخص الموضوع أنى كنت أعرف الانجليزية فقط لأن القسم العلمى فى التعليم الثانوى لا يعلم الفرنسية ، ولكن ما حيلتى وأنا « مضطر » للتفاهم بالفرنسية مع أعز مخلوقة فى الوجود ! وهى لا تعرف غير الفرنسية ، وهى لاتحب غير بورجيه ، وتعتقد أن قصة (التلميذ) قصة خالدة ... وتتمنى لو قرأناها معاً بالفرنسية !

أمنية عزيزة ، ولكن ما السبيل إلى ذلك ؟ على أن أتعلم بسرعة ، وأقرأها معها بسرعة ، وإلا فات الوقت !

لست أعرف فى تاريخ «الضرورات» أغرب من هذه الحكاية ... قلت لنفسى : أتعلم كما يتعلم الطفل ... أحفظ الكلمات ، ثم أتعلم ربطها ، ثم أتكلم ، كلمات أولا ، ثم جملا ... وهذا هو الذى حدث ... فى الشهر الأول أخذت أحفظ كلمات فرنسية ... وأتعلم نطقها من قاموس خاص بالنطق ، ثلاثين كلمة كل يوم . بعد شهر كان محصولى ألف كلمة ... أحفظها حفظا تاما .

وفى الشهر الثانى أخذت أقرأ (آجرومية) اللغة وأربط الكلمات التى

أعرفها ببعضها ، وفى الشهر الثالث أخذت أحاول تطبيق هذا على قصة (التلميذ) فى المحاولة الأولى لقراءتها ولم أفهم شيئا ، وفى القراءة الثانية فهمت قليلا ، وفى الثالثة فهمت أكثر ، وفى الرابعة ازداد فهمى لها ... وفى المرة الثامنة فهمتها تماماً ...

وعدت إلى صديقتى ، فقرأت معها قصة التلميذ لبورجيه وهى لا تكاد تصدق ! (١)

لقد طغى حب الأدب على ناجى حتى غلب فى نفسه على سائر الميول الأخرى فما عدا عما بدا ؟ ما الذى حدا به إلى الطب ؟ ... هنا فقط أترك لشاعرنا الحديث ...

« كانت نزعتى للأدب طاغية ، وكنت أعد نفسى لمستقبل أدبى ، ولم يكن عندى أية فكرة عن الناحية العلمية الرياضية ، غير أن الأقدار تلعب دورها بدون أن نعلم ... ففى السنة التى قررت فيها أن التحق بالقسم الأدبى أرسل الله لنا معلما سوريا ، لم يكد ينظر إلىّ حتى توسم فى شيئا لا أعلمه جعله يؤمن بأننى قد أكون نابغة فى الرياضة ، فوجه اهتماماً إلىّ ، وكان قاسيا جدا ، إذ كان يضربنى ويشتمنى وكثيرا ما دخل الفصل وهو ثمل ثم أخذ يبسط هذا الظل بالضرب و « التريقة » والشتم واللعن ، وأنا صابر لا أنفوه بكلمة ، وكان رحمه الله طيب القلب يخفى خلف هذه القسوة نفساً من الذهب ، فكان يلاطفنى بعد قسوته ، ويمد يده إلى (بواجبات) خاصة منه لى ... ثم يعود فى اليوم الثانى فيسألنى فى خشونة ، هل عملت الواجبات ، فلم أخيب ظنه مرة واحدة ... وقد كان تقدمى سريعا ، جعله يزهو ويفخر بى ... ثم أخذت قسوته تختفى وهو يقول « اطلع يا ناجى اشرح لهم التمرين »

لقد كان تأثير هذا المعلم فى مستقبلى كبيرا فقد غيرت التحاقى بالقسم

(١) من مقال للدكتور ناجى عن تاريخ حياته

الأدبي ، والتحقت بالقسم العلمي ، ولتقدمي وتفوقي في الرياضة دخلت كلية الطب لأني كنت من المتقدمين[١] .

وازداد ناجي مع الأيام قراءة واطلاعا وتوسع فيهما ، حتى تجاوز كتب الأدب والطب إلى المذاهب الفلسفية والسياسية وعلم النفس ... ولعل قراءة واحدة لكتابه (رسالة الحياة) تؤيد هذا عندك .

ولما تخطى ناجي مرحلة الاختبار ، وحان الموعد ليجنى الناس من الأديب الطبيب ما فيه شفاء وما فيه دواء ، أمسك بقلمه نفيسا كبضعه وسطر الشعر ، ودبج النثر ، وسرد القصة وأعد البحث ، ولكن الشاعر في ناجي غلب على الناثر والباحث والقصاص ... فهلل قوم للشاعر ولاذ قوم بالطبيب ، وقال التاريخ : شاعر الطب وطبيب الأرواح ... فهنيئاً له وسلام عليه في الخالدين ...

---

(١) من مقال للدكتور ناجي بعنوان « كتب أثرت في حياتي » الجمهور المصري ١٩٥٣/٢/١٦

ناجي الشاعر

هو شاعر حتى فى الاسماء ... (وراء الغمام) ، (ليالى القاهرة) ... أسماء زاخرة حافلة فيها غموض وظلال وسحر مكنون وإيحاء ورمزية شفافة ... ترى ماذا وراء الغمام ؟ وماذا فى ليالى القاهرة ؟ ان الاسم الأول يثير فضولى والاسم الثانى يدعونى للطرب وللسمر وللفن ...

لقد تساءل الأستاذ الصاوى وهو يصدر لديوان ناجى الأول (وراء الغمام) : كيف يجرؤ الناثر على وصف الشاعر ؟ وكيف توصف الموسيقى بالكلام ؟ وكيف يعبر بالحروف عن الأحلام ؟ ...

ولكنى رغم هذا لا أتهيب وسأصف « ناجى » الشاعر الموسيقى الحالم ... أو بالأحرى سأستشفه من شعره ... سأبحث عنه فى ديوانه .. (وراء الغمام) و (ليالى القاهرة)

نحن الآن أمام إهداء الديوان الأول (وراء الغمام) .. ومنه :

أنت وحى العبقرية وجلال الأبدية
أنت لحن الخلد والرحمة فى أرض شقية
إن يكن قد شق الماضى فما أهنا البقية
بت تسقينى فتنسينى أوجاعى العصية

لعلك تشعر معى أننا مقبلون على ديوان شجى وشاعر حزين ... ومتى كان هذا ؟ فى سنة ١٩٣٤ أى فى طور الشباب ...

ياهم قلبى فى صبا أيامه وسهاد عينى فى الليالى الأولى[١]

---

(١) الدكتور ناجى . ديوان (وراء الغمام) ص٦ قصيدة المآب

ترى ماسره ؟ وفيم أساه ؟ ها هو ذا الجواب :

كد على كد ولست ببالغ إلا ضنى متتابعا ونحولا
صدأ الحوادث بدل الإشراق فى فكرى وكدر خاطرى المصقولا
وتتابع الأنواء فى أفق الصبا لم يبق لى صحوا أراه جميلا[1]

إن الشاعر مرهق ، هدف للاحداث والآلام . . . منذ الليالى الأولى . . . ولست أسوق هذا الحكم من قصيدة (المآب) وحدها ، فان الدليل عليه تكاد تلمسه فى كل قصيدة . . . ففى (الميعاد) يصف البحر فيقول :

كم لاح لى حرب الحياة على أمواجه المجنونة الزبد
ورأيت طيف الضنك مرتسما فى عاصف الأنواء مطرد
فى الليل مد رواقه وثوى كجوانح طويت على حسد[2]

ويبدو لى أن الحياة فى حربها له كانت قاسية لا ترحم ، حتى اشتهى الموت ليفارقها ورأى فى القبر مباهج لا تحصى . . .

قبر مباهجه بلا عدد لفتى متاعبه بلا عدد
من يومه يوم بلا أمل وغد بلا سلوى وبعد غد[3]

ما الذى حدا به إلى هذا ؟ . . . صه . . . لقد بدأ يتكلم :

آه مما صنع الدهر بنا أو هذا الطلل العابس انت
والخيال المطرق الرأس أنا شد ما بتنا على الضنك وبت[4]

إنه يعتصر . . . وهذه دموع :

(١) الدكتور ناجى . ديوان (وراء الغمام) ص٩ قصيدة المآب
(٢) « « « ص٤٨-٤٩ قصيدة الميعاد
(٣) « « « ص٤٩ «
(٤) « « « ص٩ قصيدة العودة

أين ناديك وأين السمر أين أهلوك بساطا وندامى
كلما أرسلت عينى تنظر وثب الدمع إلى عينى وغاما[١]

عانى ناجى الوحدة القاتلة بأمانيها الضائعة . وذكرها الحزينة ، وهو شاعر له ظمأ يشتهى الرى فلا ينال ، فيعيش على الأمل الذاهب لما يعز عليه النسيان :

ياوحدتى جئت كى أنسى وهاأنذا مازلت أسمع أصداء وأصواتا
مهما تصاممت عنها فهى هاتفة يا أيها الهارب المسكين هيهاتا
تلفت القلب مطعونا لوحدته وأين وحدته ؟ بانت كما بانا
حتى إذا لم يجد ريا ولا شبعا أفضى إلى الأمل المطلوب فاقتاتا[٢]

وهو لايفلت من وحدته ووحشته حتى تطغى فتغمره من جديد :

لذعتنى دمعة تلفح خدى نبهتنى من ضلال ليس يجدى
واختفت تلك الرؤى عن ناظرى وطواها الغيب فى سحرى برد
وتلفت فلا أنت ولا جنة الخلد ولا أطياف سعد
وإذا بـ غارق فى محنـتى وبلائى ، أقطع الأيام وحدى[٣]

وهو متفزز كثير الأهام :

أأنت ناديت أم صوت يخيل لى فلى اليك بأذن الوهم إصغاء
لبيك لو عند روحى ماتطيريه وكيف ينهض بالمجروح إعياء[٤]

أتعرف بما قاسى ناجى أيضا ؟ سأتركك معه ليبثك شكواه ، ها هو ذا يفضى اليك :

(١) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ٩١ قصيدة العودة
(٢) « « « ص ١٨٨-١٨٩ أصوات الوحدة
(٣) « « « ص ١٠١ قصيدة الغد
(٤) « ديوان ليالى القاهرة ص ٩٧ قصيدة السراب على البحر

لقيت ضنكا من الليالى فمن غمار إلى غمار
قد طال عتبي على الليالى وطال للراحم انتظارى[1]

وهو مسرور ومن خطابه إلى من يحب :

اقبل اذقنى ما اليقين وهاته خلوا من الآلام والأوصاب
اقبل لأقسم فى حياتى مرة أن الذى أسقاه ليس بصاب
لهفى على هذا اليقين وطعمه بفمى وتكذيبي شهى شرابى[2]

حتى كأس النعيم يربد عليه قسما ليوقن أنه حلو لا مر فيه . .

هل كان مسرورا إلى هذا الحد ؟ أكاد لا أصدق من إشفاق . . . ولكن كيف وهو يؤكد أنه لايستسيغ فى دنياه شيئا :

كل شيء صار مرا فى فمى بعد ما أصبحت بالدنيا عليما
آه من يأخذ عمرى كله ويعيد الطفل والجهل القديما[3]

إن الرجل لايصرخ هذه الصرخة إلا أن تكون قد كشفت له عن حقائق مرة غص بها . . .

ترى لم ضاق ذرعا بالحياة والأحياء ؟ إنه يقول :

مللت فى هاته العوالم مهزلة الموت والحياة
وصورة القيد فى المعاصم ووصمة الذل فى الحياة
هياكل تعبر السنين واحدة العيش والنظام
واحدة السخط والأنين واحدة الحقد والخصام[4]

---

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ١٦٣ قصيدة فى منزل الشاعر
(٢) « « وراء الغمام ص ٨٢ قصيدة الشك
(٣) « « « ص ٥٤-٥٥ قصيدة الوداع
(٤) « « « ص ٦٢-٦٣ قصيدة الليالى

وواحد ذلك الطلاء   يستر خزيا من الطباع
أفنى البلى أوجه الرياء   ولم يذب ذلك القناع
بعينها كذبة الدموع   بعينها ضحكة الخداع
ومنحنى هاته الضلوع   على صواد بها جياع[1]

ويمضى فى تأمله فيرى أن الناس هم الناس والطباع هى الطباع ، وإن تغيرت شيات ، وتبدلت أزياء : . . .

آدم كالقديم قلبا وتفكيرا   ولكن تبدل الأزياء
لم يحل طبعه ولا ذات يوم   لبست غير نفسها حواء
والنضار المعبود قدس وقربان ورب والشهرة الجوفاء
والحطام الفانى عليه اقتتال   والأمانى بريقها إغراء
وسفين تمر اثر سفين   والرياح اللذات والأهواء
والغيوب المحجبات رحاب   تعبت فى رموزها الحكماء[2]

ويجمل رأيه فى الدنيا أنها رواية :

نزل الستار ففيم تنتظر   خلت الحياة وأقفر العمر
لم يبق إلا مقفر تعس   تعوى الذئاب به وتأتمر
هو مسرح وانفض ملعبه   لم يبق لاعبين ولا أثر
ورواية رويت وموجزها   صحب مضوا وأحبة هجروا
عبروا بها صورا فقد عبروا   ضحك الزمان وقهقه القدر[3]

وتمر به قافلة صغيرة فتعزز رأيه ، ويتأملها وهى تخب فى طريقها المضنى ، فيهز رأسه فى سمت الحكيم ويقول :

(١) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ٦٣ قصيدة الليالى
(٢) « « ليالى القاهرة ص ٩٣ ملحمة السراب
(٣) « « « « ص ٥٧ قصيدة رواية

رأيت حياتنا . كم من غريب على جنبيه بالإعياء مالا
وكم من سائل لم يلق ردا وقد سأل الهواجر والرمالا
فان تجب القفار عليه يوما ترد له سوافيها السؤالا
أقافلة الحياة أريتنيها خيالا أو ضلالا أو محالا[1]

وهناك داء قتال كان يعانى منه ناجي وهو بلا ريب من دواعى تبرمه وتشاؤمه ومراراته . . . ذلك هو (الظلم) . . . والظلم أشد قسوة على الحساس المرهف الشاعر بنفسه ذى الإباء .

قد تغشانى ظلام لا أرى فيه مغداى ولا منقلبى
صامدا للظلم والظلم له معول يهدمنى عن كثب
وأنا أدفعه عن منكبى بيدى حتى تهاوى منكبى
وتماسكت فلم يبق سوى كبرياء هى درع للأبى

إنى أحنو عليه هنا وأقدر موقفه وهو من طول مابلى بالدنيا وقاسى من حاضرها ، لايرجو مضيها وما له يطمع فى غدها ويومها لاتراه عينه إلا كابيا مرنقا . . .

التقى بحبيبه فأخذ يستحثه عجلا على إسعاده قبل أن تولى الفرصة بأفول العمر . . . ألا تلمح لهفته فى قوله :

هات أسعدنى ودعنى أسعدك قد دنا بعد التنائى موردك
وابلائى من ليالى التى قربت حينى وراحت تبعدك
لاتدعنى لليالى فغدا تجرح الفرقة ماتأسو يدك[2]

إنه يتوجس خيفة من الغد شأن الحساسين متفززى الأعصاب . . .

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ١٨٣ - ١٨٤ قصيدة القافلة الصغيرة
(٢) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ٥٦ - ٥٧ قصيدة الوداع .

وليس هذا فحسب ، بل إنه سيء الظن بالأيام يتوهم أن القدر موكل به فإذا ظفر بمأمول تلفت إليه قلبه متسائلا :

قال لى القلب : أحقا ما بلغنا ؟ كيف نام القدر الساهر عنا ؟
أتراها خـــدعة حاقت بنا ؟ أتراها ظنة مما ظننا ؟[١]

وهو يصيح بكل من يمنيه بغد :

لا تقل لى فى غد موعدنا فالغد الموعود ناء كالنجوم[٢]

إنه ليس متفائلا . .

ويعزو الأستاذ إبراهيم المصرى تشاؤم ناجي إلى شدة إحساسه بالعواطف الرقيقة (التى تضاعف شعوره بالألم عند ما يعترض طريقه مشهد مؤثر أو فاجعة رهيبة ، أو مجرد سماع إنسان يشكو أو آخر يستجدى أو ثالث يتظاهر بالسعادة وفى عينيه أثر مجاهدة الدموع ! . .)[٣]

وهو قدرى يتأمل ويتطوح به التفكير فيتساءل :

وإلام تدفعنا الحوادث فى عباب يلتطم
دفعت بمركبنا المقادير الخفية والنسم
خرجت وماتدرى النواة بأى صخر ترتطم
بدأت على ريح الرضا والله يدرى المختتم[٤]

وهو ملول بطبعه . . . يحسب من ضيقه أن عقارب الساعة لا تنفرج إلا لترجع إلى الوراء .

(١) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ٩٩ قصيدة الغد
(٢) « « « ص ٩٧ »
(٣) كتاب (صوت الجيل) للاستاذ ابراهيم المصرى ص ١٤١
(٤) « ديوان وراء الغمام ص ٧٧ قصيدة ليالى الأرق

يا ليالى العمر ما سر الليالى البطيئات المملات الطوال
مسرعات مبطئات ولهـا خفة الموت وأثقال الجبال
كاسفات البال عرجاء المنى عاثرات الحظ شوهاء الظلال
عجبـا للعمر يمضى مسرعا للمنايا بسلحفاة الملال[١]

أهكذا كانت أيامه ؟ إنها لـكذلك . . . ولا تحتج عندى بضحكه فانه ضحك كالبكا ، ألم يقل :

طالمـا موهت بالضحك فمـا غير التمويه رأيا لك فيا
كلما تنظر فى عينى ترى سرى الخافى ومعناى الخفيا
وترى فى عمق روحى زهرة قد سقاها الحزن دمعا أبديا
ويراه الناس طلا ، وترى أنت دمعا غائمـا فى مقلتيا

هكذا كان ناجى وتلك كانت حقيقته

وهو حالك اليأس ، يأس فلا تلوح له بارقة من نور الامل ، حتى ليتمنى الموت :

أصبحت من يأسى لو أن الردى يهتف بـ ، صحت به هيا
هيا فما فى الأرض لى مطمع ولا أرى لى بعدها شيا
ما ذا بقائى ها هنا بعد ما نفضت منه اليوم كفيا[٢]

وتصيح به من رحمتك : علام الموت ؟ فيعجب لك كما تعجب له ويسألك بدوره :

ما يصنع الأبرار بالأرض التى ساوت من الأبرار والأوشاب
دوارة أبد السنين كعهدها من ليـل آثام لصبح متـاب

(١) الدكتور ناجى ديوان (وراء الغمام) ص ٢٠٨ قصيدة الخريف
(٢) الدكتور ناجى ديوان (ليالى القاهرة) ص ٥٨ قصيدة يأس على كأس

تغلو الحياة بها إلى أن تنتهى   عند الغراب رخيصة كتراب(١)

ولكنك لا تقتنع ... وهو يدرك هذا تماماً ... ومن ثم يسوق إليك حججا أخرى :

ما بقائى وأجمل العمر ولى   وانتظارى حتى يحين الشتاء
يطلع الفجر مرهقا شاحب النور   عليه الكلال والإعياء
وبنفسى دب المساء وحل   الليل من قبل أن يحين المساء(٢)

أراك لا تزال غير مقتنع بشكواه ... ها هو ذا قد تركك وشأنك وراح ينشد آخر :

ألا وفىٌّ ألا معين   فى مدلهم بلا صباح ؟
وكلما جد لى أنين   تسخر بى أنة الرياح(٣)

فلما بددت الرياح صرخته أرسل فى الليل أنينه مبللا بالدموع :

يا أيها الليل جئت أبكى   وجئت أسلو وجئت أنسى
طال عذابى وطال شكى   ومات قلبى وما تأسى(٤)

فلما غشت ظلمة الليل لوعته هرع إلى النهر يناديه :

يا نهر لى جذوة بجنبى   هادئة الجمر بالنهار
فإن دنا الليل برحت بى   وساكن الليل كم أثار
وقفت حران فى إزائك   فهل ترى منك مسعد

---

(١) الدكتور ناجى . ديوان (وراء الغمام) ص ٨٣ قصيدة الشك
(٢) الدكتور ناجى . ديوان (ليالى القاهرة) ص ٩٢ ملحمة السراب
(٣) الدكتور ناجى . ديوان (وراء الغمام) ص ٦٥ - ٦٦ قصيدة الليالى
(٤) « « « « ص ٧١ «

وددت ألقى بها لمائك لعلها فيك تبرد[1]

يبدو أن جذوته استعصت على ماء النهر . . . ولكنه قلق بين ماض دام يرهقه وحاضر قاس يؤرقه :

ماض وكم فيه من عثار ومن عذاب قد انقضى
كم قلت لا يرفع الستار ولا ادكار لما مضى[2]

ها هو ذا خاطر جديد يلوح له ... ليتجه إلى البحر ... تعال معى إلى الشاطىء . . أرهف السمع . . إنه يناجيه مناجاة شاعر ويهمس إليه همساً فيه شاعرية وحساسية ورفيف . . . إنى أحس أنه تخفف من أعبائه حين أسمع منه :

وجعلت النسيم زادا لروحى وشربت الظلال والأضواء
لكأن الأضواء مختلفات جعلت منك روضة غناء
مر بى عطرها فأسكر نفسى وسرى فى جوانحى كيف شاء[3]

إنه شاعر ملهم ذلك الذى يعود إلى الطبيعة نبع الجمال والسحر يعب منها فإذا الرشيف ظلال وأضواء وعطر وشعر . . . إنه هنا عصفور طليق حط على غدير يحسو منه فى هناءة الخلى ...

كدت أحمد للبحر العظيم فضله على شاعرنا ، لولا أنى سمعته من جديد يقول :

نشوة لم تطل ! صحا القلب منها مثل ما كان أو أشـد عنـاء
إنما يفهم الشبيه شبيها أيها البحر . نحن لسنا سواء

---

(١) الدكتور ناجى . ديوان (وراء الغمام) صـ ٦٨ قصيدة الليالى
(٢) « « (وراء الغمام) صـ ٦٩ «
(٣) « « (وراء الغمام) صـ ٨٥ قصيدة : خواطر الغروب

أنت باق ونحن حرب الليالى   مزقتنا وصيرتنا هباء
أنت عات ونحن كالزبد الذا   هب يعلو حينا ويمضى جفاء
وعجيب إليك بمت وجهى   اذ مللت الحياة والأحياء
أبتغى عندك التأسى وما تمـ   ـلك رداً ولا تجيب نداء[١]

إن لواعجه لا تهدأ ، وهمومه لا تفتر ، حتى البحر بغمره عجز عن غسل هذه الهموم .

إذن لا مطمح له فى الأرض . . . ليشرئب إلى القمر . . . لعله أحنى ذلك الوضاء الجميل :

قمر الأمانى ياقمر   إنى بهم مسقم
أنت الشفاء المدخر   فاسكب ضياءك فى دمى
أفرغ خلودك فى الشباب   واخلع على قلبى الصفاء
أسفا لعمر كالحباب   والكأس فائضة شقاء[٢]

. وما إن رآه يمضى وراء سحابة تحنو عليه وتلثمه حتى صرخ فى ضراعة مكروبة :

خذنى إليك ونجنى   مما أعانى فى الثرى
قدحى ترنق فاسقنى   قدح الشعاع مطهرا[٣]

فلما لم يجد سميعا من الليل والنهر والبحر والقمر ، لاذ بحمى النيل الوالد كما لاذ به قبله فى القدم آباء وأجداد :

أقبلت للنيل المبارك شاكيا   زمنى وقد كثرت علىّ همومى
ومسحت كفى والجبين بمائه   على أهدىء ثورة المحموم

---

(١) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام ص ٨٦ من قصيدة خواطر الغروب
(٢) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ١٤٦ قصيدة استقبال القمر
(٣) المرجع نفسه ص ١٤٧ من القصيدة نفسها

وجلست أنثر جعبة معمورة بالذكريات جديدها وقديم[1]

وقد تهادنه الأيام حينا فتحسن إليه بعود حميد ، ورد غائب فيرسل اللحن جذلا :

عادت لطائرها الذى غناها وشدا فهاج حنينها وشجاها
أى الحظوظ أعادها لوفيها ونجى وحدتها وإلف صباها
مشبوبة التحنان تكتم نارها عبثا وتأبى أن يبين لظاها
يا ألفىَ المعبود سرك ذائع نار الحنين دفينها أفشاها[2]

حتى إذا اطمأن إلى زمانه استرد ماوهب ، وسلب ما أعطى ، فهل يلام ناجى إذا أن :

ماذا لقينا من لقاء خاطف وعشية كالبرق حان ضحاها
ياويح هاتيك الثوانى لم تقف حتى نسيغ هناءة ذقناها
حتى يمتع باليقين مكذب عينيه فى رؤيا يضل سناها
تمضى لها الأبصار مشعلة الهوى وتحول عنها ما تطيق لقاها[3]

إن الأمانى تلاقيه بقدر معلوم وتنصرم وقد استحال الظمأ أواما ... ولكنه ظمأ خالق ، وحرمان مبدع ، ذلك الذى يوحى إليه :

لم ترو منك نواظرى وخواطرى ورجعت أزكى مهجة وشفاها

ما أعذب رى الخواطر . . .

مد الخريف على الرياض رواقه ومضى الربيع الطلق مايغشاها
ما بالرياض ؟ كآبة فى أرضها وسحـــابة تغشى أديم سماها
جمدت حمائم أيكها وأنا الذى شاكيتها فاغرورقت عيناها[4]

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٦٥ كبرياء.

(٢) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ٩٢ قصيدة رجوع الغريب

(٣و٤) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص٩٣و٩٤ قصيدة رجوع الغريب

ترى ماحيلته لاسلوى إلا أن يعلل نفسه بالأوهام :

هات قيثارى ودعنى للخيال   واسقنى الوهم ! وعلل بالمحال
ودع الصدق لمن ينشده   الحجى خصمى فاغمر بالضلال
وخذ الأنوار عنى ، ربما   أجد الرحمة فى جوف الليالى
خلنى بالشوق استدنى غدا   فغدا عندى كآباد طوال[١]

وطبيعى أن يزعزع هذا كله يقينه ويورثه الشك حتى فى الواقع الملموس . . . عاودته مرة ذكرى لقاء فلم يصدق نفسه ، وخال من أوهامه الحقيقة التى وقعت حلما عابرا ووهما كاذبا :

أحقا كنت فى قربى   لعلى واهم وهما
تكلم سيد القلب   وقل لى : لم يكن حلما[٢]

وهو على فيض أساه ، وطول شكواه حمول صبور متعجل . . . يستقبل العائد فيهتف :

سلام على غائب عن عيونى   حملت حطامى إلى داره
وقلت لقلبى تمهل بنا   وخبىء شقاءك أو داره
تناسى الأسى هاهنا أو يقال   حملت الظلام لأنواره
أتغدو إلى عتبات النعيم   بلفح الجحيم وإعصاره[٣]

وهو على حرمانه لا ينفس على واحد مجدا ، ولكنه يغبط النابغ ويزكى نبوغه ويجامل ويكرم ويوفى الأحياء والأموات . . . وسيأتى ذكر هذا فى حديثى عن شعر المناسبات .

---

(١) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ١٠٢ قصيدة الغد
(٢) الدكتور ناجى . ديوان (وراء الغمام) ص ١١٨ قصيدة صلاة الحب
(٣) الدكتور ناجى . ديوان (ليالى القاهرة) ص ٢٢٣-٢٢٤ قصيدة ليالى القاهرة . . .

وهو ذو كبرياء . . يلق من أيامه نصبا فيكابر ويقول :

يادهر لم أشك الكلال ولا ملكت خطوب الدهر إرهاقى
عذبت أيامى بعفتها وقتلتها بصفاء أخلاقى[1]

أما عفته وصفاء أخلاقه فمما لا ينكره عليه أحد أما الشكوى فقد شكا وبكى ، بل لقد أردف النفى بالاثبات فى نفس القصيدة . . أو ليست هذه شكوى .

يا كم غرست وكم سقيت وكم نضرت من زهر وأوراق
ماحيلتى والأرض مجدبة سيان إقلالى وإغداقى
أين الذين رفعت فانحدروا وبنيتهم ببنيان خلاق[2]

ألا تشى هذه الأبيات بحسرته ، بتفجعه ؟

إن كنت لم أغنم فقد ظفروا منى بمغفرتى وإشفاقى

ألا ما أحوجه إلى الإشفاق وما أجدره بالرثاء . . . على أن مغفرته قول شاعر ، أما الإنسان الجريح فهذا رأيه :

لكننى والجرح يلهب لى حسى ويكوى كى إحراق
هيهات أنسى انهم عبثوا ووفيت لم أعبث بميثاقى[3]

ولكنه لا يضمر البغض لأحد وكيف وهو داعية إلى الحب والسماحة :

تفرق الناس حول الشط واجتمعوا لهم به صخب عال وضوضاء
وآخرون كسالى فى أماكنهم كأنهم في رمال الشط أنضاء
هم الورى قبل إفساد الزمان لهم وقبل أن تتحدى الحب بغضاء

---

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٧٥ قصيدة شكوى الزمن
(٢) و (٣) « « « ص ٧٦ قصيدة شكوى الزمن

ضاقت نفوس بأحقاد ولو سلمت　　فانها كسماء البحر روحاء[١]

فلما انفض الناس من حوله لا يبالون بدعوته لاذ بحبيبه متعزيا :

مالى بهم ، أنت لى الدنيا بأجمعها　　وما وعت ولقلبى منك اغناء

وهنا يصفو ناجى ويرق وتجود شاعريته بمثل :

إذا نطقت فما بالقول منتفع　　وإن سكت فان الصمت إفشاء
وإيما لفظة فالريح ناقلة　　والشط حاك لها والأفق أصداء
ياليل ! من علم الأطيار قصتنا　　وكيف تدرى الصبا أنا أحباء[٢]

والحب عنده ليس حب الهوى فحسب . . . ولكن حب الوطن وحب الإنسانية جمعاء . . .

وحب ناجى لوطنه - إن احتاج حب الوطن إلى دليل - يتمثل فى إشادته به ، ويتمثل فى دموعه التى سكبها فى أتراحه ، وأغانيه التى أرسلها فى أفراحه . . .

إن مصر أثيرة عند ناجى أحسنت أم أساءت . . . لقد خرج يوما منها مريضا ، ورجع إليها مكسور الساق يحمل عكازتين ، فلما أشرفت السفينة على بور سعيد هلل ناجى : رفاق . . تلك مصر يارفاق . .

هتفت وقد بدت مصر لعينى　　رفاق ! تلك مصر يارفاق
أتدفعنى وقد هاضت جناحى　　وتجذبنى وقد شدت وثاق
خرجت من الديار أجر همى　　وعدت إلى الديار أجر ساقى[٣]

ومن هتاف الوطنية على لسان ناجى هذا البيت النابض فى وصف النسور المصرية

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٩٧ قصيدة السراب على البحر
(٢) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٩٨ قصيدة السراب على البحر
(٣)　　»　　»　　ص ٧٣ قصيدة المآب

وهلل السين إذ هلت طلائعنا   طلائع المجد من أبناء وادينا

إنى ألمح اعتزازه بمصر ووجده بها فى تشبثه بالانتساب إليها فى إضافته إلى الضمير « نا » (طلائعنا - وادينا) .

وهاضت الأجنحة المحلقة واحترقت فذرف ناجى الدموع . . . ذرفها عن ضعف المنكوب وإن سلم شخصه على الأذى ، الشاعر بالمصيبة وإن لم تمس منه الجسم . ولكن قطعة من وطنى تتلظى فيحس قلبه لفح النار ، ولكن أخوة له فى الوطن يقضون فيبكى قلبه المصرى لحما ودما ، المصرى أملا وهوى ، يبكى قلبه وتبكى عينه ويبكى شعره من أجلهم ، ومن أجل مصر الأم .

يا أمتى كم دموع فى مآقينا   نبكى شهيديك أم نبكى أمانينا
يا أمتى إن بكينا اليوم معذرة   فى الضعف، بعض المآسى فوق أيدينا[١]

إن شاعرنا مواطن صادق ، كبير الألم . . . كبير العاطفة .

وعلى حبه لوطنه ، ضاق صدره مرة ، فقال وهو يصف الليل فى فينيسيا

يارب ما أعجب هذى البلاد   لا ليل فيها ! كل ليل صباح
وكل وجه فى حماها ضماد   ومصر لاتنبت إلا الجراح[٢]

ولكنى لاأحسب هذا ذما . إنه أشبه بالعتاب منه بالذم . . لقد كان فى ذلك الوقت متأثرا من حملة النقد التى أثارها عليه الأدباء على إثر ظهور ديوانه (وراء الغمام) ، فهو فى هذين البيتين يتحسس جرحه .

وفى ناجى وفاء للصديق . . . رأى رفيقا من رفاق صباه عليلا محمولا بعد غربة طويلة فارتاع :

(١) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ١٨٤ قصيدة الأجنحة المحترقة
(٢) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٨٣ قصيدة الليل فى فينيسيا

لمن العيون الفاترات ذبولا ... ومن الخيال موسدا محمولا
ياهم قلبي فى صبا أيامه ... وسهاد عينى فى الليالى الأولى
عيناى كذبتا وقلبي لم يدع ... دقاته شكا ولا تأويلا
وبكيت من يأس عليك فلم أذر ... عند المحاجر مدمعا مبذولا[١]

على أن (ناجى) يعتقد أن الدموع تجف سريعا ومن ثم فهى لاطائل تحتها ولا جدوى فيها . . . ولكنه يجود بها فى المآسى كما يفعل كل حزين .

هنيهة ثم يسلو الدمع ساكبه ... لايدفع الدمع شيئا من عوادينا[٢]

وتستطيع أن تستشف من شعر ناجى غير هذا . . . تواضعه . . . إن شاعرنا ليس من فريق أبي الطيب الذى يمدح فيقول :

أجزنى إذا أنشدت شعرا فانما ... بشعرى أتاك المادحون مرددا
وما الدهر إلا من رواة قصائدى ... إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

ولكنه من طراز آخر . . . مصقول . . . حي . . . مدح ناجى زميله الأستاذ دسوقى أباظة فقال :

دسوقى إذا أقللت فاقبل تحيتى ... فما أنا شاديهم ولا خيرهم أنا
ولكننى صوت المحبين كلهم ... ومن روضك الغالى وبستانهم جنى[٣]

وقد سنح فى قصيدة (فى الظلام) بيت افتخر فيه ناجى بنفسه كالشعراء ، ولكنه مثال فرد أحسب أن القافية تحكمت فكان . . . والبيت :

أيا مصر مافيك العشية سامر ... ولافيك من مصغ لشاعرك الفرد[٤]

---

(١) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ٨ قصيدة المآب
(٢) المصدر نفسه ص ١٨٦ قصيدة الأجنحة المحترقة
(٣) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ١٥٥
(٤) المصدر نفسه ص ٢٢ قصيدة فى الظلام

وهو على تواضعه وتزكيته لأمجاد الخير ، عالى الهمة لايخضع لغير الله :

إنى لأحمل جعبتى متحديا زمنى بها وحواسدى وخصومى
أحنى لعرش الله رأسا ما انحنى بالذل يوما فى رحاب عظيم[١]

....

ويطيب لناجى أحيانا أن ينظم الحكم كقوله :

قد صار حب الحياة منا يقنع بالجيفة السباع
وعلم السمح أن يضنا وثبت الجبن فى الطباع[٢]

وحكمته على صدقها لاتترك التأثير المنشود لأنه ليس شاعرها ولكنه شاعر الغزل وشادى الأيك . .

....

ومن غرائب ناجى قوله :

كم صحت والعين تذرى الدمع فى أسف على الجواهر فى كف الردى العادى
ألا رقى للأباظيين تحفظهم على الحوادث من أنظار حساد[٣]

رقى والنظرة والحسد ! . . . وهذا القول من طبيب يدخل عندى فى باب الطرافة لولا أن المقام مقام عزاء . . .

....

وناجى مداعب فكه عذب الروح . . . ومن طرائفه يداعب صديقا شاعرا جمعته به وليمة :

بصرت به والصحن بالصحن يلتقى فلم أر أبهى من غنيم وأظرفا

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٦٦ قصيدة كبرياء .
(٢) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ٦١ قصيدة الليالى
(٣) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ١٦١

تراءى له لحم فلم يدر عنده ... تديك من بعد الطوى أم تخرفا
وأومأ لى ، باللحظ يسألنى به ... أتعرفه ؟ أومأت باللحظ مسعفا
وقدمته للديك وهو كأنما ... يطير اليه واثبا متلهفا
غنيم أخونا الديك قدمت ذا لذا ... فهذا لهذا بعد لأى تعرفا
وما هى إلا لحظة وتغازلا ... وقد رفعا بعد السلام التكلفا
فمال على الورك الشهى ممزقا ... ومال على الصدر النظيف منظفا
جزى الله أسنانا هناك عتيقة ... ظللن على الصحن الأباظى عكفا[1]

وما دمت مسترسلا فى الضحك فاسمع :

تعير ناجى بالردنجوت جاءه ... معارا فغامر واستعر أنت معطفا
وأقسم لو أن الردنجوت نلته ... وجاد به من جاد كرها وسلفا
لقلبته ظهرا لبطن محيرا ... به تحسبن الوجه من عبط قفا
رأيتك والعدس الأباظى قادم ... كما انتفض المحموم بشر بالشفا
وناهيك بالعدس الأباظى منظر ... عظيم كما هيأت للعين متحفا
على أنه ما جاء حتى رأيته ... توارى كطيف لاح فى الحلم واختفى
فلله من لفظ ببطنك راسب ... قرير ومعناه برأسك قد طفا[2]

وهو ساخر حتى من نفسه . . . اعتز فى قصيدة بآبائه ومثل هذا الحديث يجد فيه صاحبه ويصطنع الشموخ أو يأخذ سمته ، ولكن ناجى السخر السهل غلبته طبيعته البسيطة فقال :

قد عاش وهو معذب بإبائه ... ولقد يلاقى يومه مستكبرا[3]

إن الذى يسلم الروح أغلى ما فى الوجود مقسور مغلوب على أمره فاقد

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٢٠٠ - ٢٠١
(٢) المصدر نفسه ص ٢٠١ - ٢٠٢
(٣) المصدر نفسه ص ٨٩ قصيدة عذاب

الحيلة . . . إن البيت . دعابة ساخر ، وسخرية ممرور .

وناجي يعرف أن الناس يروعها اجتماع الفن والعلم لاختلاف الطبيعتين ، وهو هنا يرد على السؤال الحائر (طب وشعر كيف يتفقان) ؟

والناس تسأل والهواجس جمة — طب وشعر كيف يتفقان
الشعر مرحمة الجسوم وسره — هبة السماء ومنحة الديان
والطب مرحمة الجسوم ونبعه — من ذلك الفيض العلى الشان
ومن الغمام ومن معين خلقه — يجدان إلهاما ويستقيان[1]

هنيئا له . . . لقد اجتمعت له الرحمتان . . الشعر والطب .

. . . .

ترى هل استكملنا شخصيته ؟ هل وضحت صورته عندك ؟ احسب أن هناك خطا لم يمتد به الحديث إلى مداه وهو خط العاطفة . . وعاطفة ناجي تمثل الجانب المشرق منه . . . . إنه شاعر الجمال والحب ومن ثم فغزله خليق أن نفرد له فصلا مستقلا . . . ولو أن عاطفته جزء من شخصيته التى نتلمسها فى هذا الفصل وكان يمكن للكلام عن محابه أن يتصل هنا . . . ولكن حديث حبه طويل ذو فنون وهو غالب على شعره . . . فمن حقه أن نقف عنده وقفة خاصة . . . فهيا إلى . . . « شاعر الغزل »

(١) الدكتور ناجي . ديوان ليالى القاهرة ص ١٩٥ - ١٩٦ نحو الرضا

شاعر الغزل

الغزل نشيد الحب .. والحب .. ما هو ؟ هل قرأت قصته ؟ إن (ناجى) يقول :

هى قصة الدنيا ، وكم من آدم ... منا له دمع على حواء
كل به قيس إذا جن الدجى ... نزع الإباء وباح بالبرحاء
فاذا تداركه النهار طوى المدا ... مع فى الفؤاد وظن فى السعداء
كل له (ليلى) ومن لم يلقها ... لحياته عبث ومحض هباء
كل له (ليلى) يرى فى حبها ... سر الدنى وحقيقة الأشياء
ويرى الأمانى فى سعير غرامها ... ويرى السعادة فى أتم شقاء
الكون فى إحسانها والعمر عنـ ... ـد حنانها والخلد يوم لقاء[1]

وناجى يرى فى الحب متنفسه :

نضبت رحمة الوجود جميعا وبك الرحمة التى ليس تنضب
وإذا ضاقت السماء بشجوى فالسماء التى بعينيك أرحب
كم تمنيت والصدور تجافينى وتزورُّ والوجوه تقطب
كم تمنيت صدرك البر يرتاح على خفقه الطريد المعذب
هات وسدنى الحنان عليه جسدى متعب وروحى متعب[2]

(جسدى متعب وروحى متعب) (نضبت رحمة الوجود جميعا وبك

---

(١) الدكتور ناجى ، ديوان وراء الغمام ص ١٨٢ و ١٨٣ قصيدة دين الأحباء
(٢) « « (ليالى القاهرة) ص ١٩٤ « خمر الرضا

الرحمة التى ليس تنضب) . . . شقاء عيش تمسحه هناءة الحب . . . هذه هى خلاصة قصته ...

وهو يؤمن بالحب دواء لكل داء :

يا أيها الحب المطهر للقلوب وغاسل الأرجاس والأدران(١)

وهو يستمرئه .. إنى أقرأ وصفه له وكأنى أرى نشوان يترشف كأس الرحيق ... ألا يخيل إليك هذا حين تسمعه يقول عن الحب :

ما أعظم النجوى الرفيعة كلما ... يشدو بها روحان يحترقان
أنفا من الدنيا وفى جسديهما ... ذل السجين وقسوة السجان
فتطلعا نحو السماء وحلقا ... صعدا إلى الآفاق يرتقيان
وتعانقا خلف الغمام وأترعا ... كأسيهما من نشوة وحنان(٢)

لقد تساءل الدكتور طه فى آخر حديثه عن ديوان ناجى (وراء الغمام) تساءل عن عنوان الديوان مقررا أنه لم يفهمه ، وخشى (أن يكون العنوان متكلفا ، كما أن كثيرا من المعانى والألفاظ ومن الأوزان والقوافى متكلف أيضا)(٣) .

لقد تذكرت سؤال أستاذنا الدكتور طه وأنا أقرأ هذه الأبيات ، لقد مر بنا أن (ناجى) كان شقيا بدنياه ، ضائقا بهذه الأرض ... وكم شكا منها إليها ... إلى أهلها ، وإلى ليلها وإلى أنهارها وإلى بحارها فلم تجده الشكوى ولم يغن عنه الأنين شيئا . . . وهذا عندى هو سر تطلعه إلى فوق . . إلى السماء ... إلى وراء الغمام ...

---

(١) الدكتور ناجى ديوان ليالى القاهرة ص ١٩٦
(٢) « « « ص ١٩٦ قصيدة خمر الرضا
(٣) الدكتور طه كتابه حديث الأربعاء ج ٢ ص ١٥٧

هذه رغبة نفسه أطلقها على جمع من شعره، وهو بضعة من تلك النفس لينم العنوان كسائر شعر الديوان عن أمل مشرئب ... وليشف العنوان كسائر شعر الديوان عن روح محلقة ...

ولعل هذه الأبيات ولاسيما العبارات التى ميزتها تؤيد هذا التفسير عندك بعد أن أوحت به إلى ...

وناجى رقيق فياض العاطفة تستطيع دمعة من الحبيب أن تطهر للدنيا التى أشقته بحرا من الآثام ... وهل أرق من هذه المناجاة :

يا مناجاتى وسرى وخيالى وابتداعى
ومتاعا لعيونى وشميمى وسماعى
تبعث السلوى وتنسى الموت مهتوك القناع
دمعة الحزن التى تسكبها فوق ذراعى[1]

وناجى العاشق روح شفافة هفافة مجنحة ... اسمعه معى تطرب لقوله :

سموت كأنما أمضى إلى رب ينادينى
فلا قلبى من الأرض ولا جسدى من الطين

...

سموت ودق إحساسى وجزت عوالم البشر
نسيت صغائر الناس غفرت إساءة القدر[2]

ولا ينفى هذا ارتداده إلى بشريته أحيانا ورغبته فى الحب حسيا قائلا :

شفتى موتورة ظمآنة جنت جنونا[3]

---

(١) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام ص ٥٢ قصيدة الميت الحى
(٢) « « « ص ١٢١ « صلاة الحب
(٣) « « « ص ١٢٣ « مصافحة الوداع

إنه مضطرم العاطفة متأجج الرغبة ولكنه لاينال ، فيفرغ شحنة الشوق الملتهب فى المصافحة :

وكأن الآن كفى حملت ثأرا دفينا
تتمناك حبيسا عندها العمر سجينا
طائرا ألفى على راحتها وكرا أمينا
وشعاعا قدسيا هادىء النور مبينا[1]

وأحيانا يضعف أمام رغبات الحس فيصيح فى الخلاء :

أجر شفتى من عذاب الظما أما أذن الله ان ترحما
أنمعن فى الهجر حتى ترانا بكينا دما واحترقنا فما[2]

ولكن الذنب ليس بذنبه وإنما هو الهوى وتلك جنايته .

وإذا حل الهوى هيهات تدرى كيف كانا
فاذا ماملك الأنفس اصلاها عوانا
فهو نصل مستقر ولهيب لا يدانى[3]

وناجى ملتهب الحس تحس وقدته فى بيتيه :

بورك الكرم والقطوف وأوقات كأن العناق فيها اعتصار
كلما أطلقتك كفى استردتك كما يحفز الغريم الثأر[4]

ولكن (ناجى) ، كما نادى بالشعر الحس ، خاطب الروح .

كم هدأ الليل وران الكرى الا أخا سهد يغنى شجاه

---

(١) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ١٢٣ قصيدة مصافحة الوداع
(٢) « « « ليالى القاهرة ص ٢٢٢ قصيدة العائد
(٣) « « « وراء الغمام ص ١٢٤ أغنية فى هيكل الحب
(٤) « « « ليالى القاهرة ص ١٠٢ السراب فى السجن

نادى من أقصى الربى فاسمعى لمن على طول الليالى نداه

نادى اليفا نام عن شجوه عذب تجنيه عزيز جناه

أحبك الحب وغنى به عف الأمانى والهوى والشفاه

وإنما الحب حديث العلا أنشودة الخلد ونحن الرواة (١)

وكثيرا مايعف ناجى فى شعره :

قد عرفنا صولة الجسم التى تحكم الحى وتطغى فى دماه

أمرتنا فعصينا أمرها وأبينا الذل أن يغشى الجباه

حكم الطاغى فكنا فى العصاة وطردنا خلف أسوار الحياة

. . . .

يالمنفيين ضلا فى الوعور دميا بالشوك فيها والصخور

كلما تقسو الليالى عرفا روعة الآلام فى المنفى الطهور

طردا من ذلك الحلم الكبير للحظوظ السود والليل الضرير

يقبسان النور من روحيهما كلما قد ضنت الدنيا بنور (٢)

إنه يسمى لذة الإثم حظا أسود وليلا ضريرا . . . هنا روح متألقة . . وهو يتفانى فى الحب حتى ليبذل من أجله مايضن به على سواه :

يالها من خطة عمياء لو أننى أبصر شيئا لم أطعها

ولى الويل إذا لبيتها ولى الويل إذا لم أتبعها

قد حنت رأسى ولو كل القوى تشترى عزة نفسى لم أبعها (٣)

---

(١) الدكتور ناجى ديوان ليالى القاهرة ص ٢٦ أنوار

(٢) المرجع نفسه ص ٤٤ – ٤٥ قصيدة الأطلال

(٣) المرجع نفسه ص ٤٦ قصيدة الأطلال

حتى إذا أرهقه الألم وأمضه الشجن صرخ يائسا مجهودا :

أعطنى حريتى أطلق يدى ... إننى أعطيت ما استبقيت شى
آه من قيدك أدمى معصمى ... لم أبقيه ؟ وما أبقى على
ما احتفاظى بعهود لم تصنها ... وإلام الأسر والدنيا لدى
ها أنا جفت دموعى فاعف عنها ... إنها قبلك لم تبذل لحى[١]

إننى أعطيت ما استبقيت شى ... أرأيت أجود منه وأندى ؟ أصغ معى إلى (إنى أعطيت ما استبقيت شيء) ... أليست حلوة النغم . . . والياء فى الألفاظ الثلاثة أكسبت التعبير كله ليونة وطواعية ورفقا ... إننى لا أسامح بعد هذا من يأخذ (ناجى) بالخطأ النحوى فى لفظة (شى)، ويفسره على أن يقول (شيا) ... حسب الشاعر أن ينقل اهتزازات نفسه إلى نفوس أخرى وأشهد أن بيته هز نفسى وأسرها ...

وهو لا يرى فى تفانيه ذلا ، ولا يراه يتعارض مع الإباء، لأنه يبذل بمحض رغبته ، ويعطى بإرادته فهو ليس مكرها ولكنه بطل ...

غرامك كان محراب المصلى ... كأنى قد بلغت بك السماء
خلعت الآدمية فيه عنى ... ولكن ما خلعت به الإباء
فلم أركع بساحته رياء ... ولا كالعبد ذلا وانحناء
ولكنى حببتك حب حر ... يموت متى أراد وكيف شاء[٢]

إنه عزيز النفس ، ولقد تثور به عزة نفسه فيطرح من حرص عليه وضحى من أجله وبذل ما بذل :

وحبيب كان دنيا أملى ... حبه المحراب والكعبة بيته

(١) الدكتور ناجى ديوان ليالى القاهره ص ٤٨ قصيده الاطلال
(٢) « « « ص ٦٤ « كبرياء

من مشى يوما على الورد له فطريق كان شوكا ومشيته
من سقى يوما بماء ظامئا فأنا من قدح العمر سقيته
خفق القلب له مختلجا خفقة المصباح إذ ينضب زيته
قد سلانى فتنكرت له وطوى صفحة حبي فطويته[١]

ولقد عنفت يوما ثورته واضطرمت فجمع مادة حبه ، رسائل الحبيب ... أتعرف ما فعل بها .. اسأله يجيبك :

أشعلت فيها النار ترعى فى عزيز حطامها
تغتال قصة حبنا من بدئها لختامها[٢]

أتحسبه مرتاحا هادىء البال ؟ كلا . . . لقد احترق هو أيضا . . . بل بكى وهو يحترق :

أحرقتها ورميت قلبي فى صميم ضرامها
وبكى الرماد الآدمى على رماد غرامها

إنه وفى حتى فى شموخ الكبرياء . . . وقد يخيل إليه وإليك أنه تبدل وغير رأيه ، ولكنها حالات عارضة تعتريه كإنسان ، وهو بعد هذا عاتى الوفاء فلا يزحزحه شيء . . . اسمعت حديثه مع الريح ؟ لقد قالت له :

أيها الشاعر تغفو تذكر العهد وتصحو
وإذا ما التام جرح جد بالتذكار جرح
فتعلم كيف تنسى وتعلم كيف تمحو
أو كل الحب فى رأيك غفران وصفح
هاك فانظر عدد الرمل قلوبا ونساء

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٦٤ كبرياء
(٢) المصدر نفسه ص ٦٨ رسائل محترقة

فتخير ما تشاء ذهب العمر هباء
ضل فى الأرض الذى ينشد أبناء السماء
أى روحانية تعصر من طين وماء[١]

إنى ألمح تشوقك إلى الجواب . . . ها هو ذا جوابه :

أيها الريح أجل لكنما هى حبى وتعلاتى ويأسى
هى فى الغيب لقلبى خلقت أشرقت لى قبل أن تشرق شمسى
وعلى موعدها أطبقت عينى وعلى تذكارها وسدت رأسى[٢]

أتصدق أن مثل هذه الألحان لاتجد سميعا طروبا ، وأن صاحبها لايحظى بتجاوب مسعد ؟ إنى لست واهمة فهاهو ذا الشاعر يحكى :

يانداء كلما أرسلته رد مقهورا وبالحظ ارتطم
وهتافا من أغاريد المنى عاد لى وهو نواح وندم
رب تمثال جمال وسنا لاح لى والعيش شجو وظلم
ارتمى اللحن عليه جاثيا ليس يدرى أنه حسن أصم[٣]

إن شاعرنا من طبعه الوفاء ولكن ماذا يفعل إذا أعوزه المقدر لوفائه المتجاوب معه ، المغالى بحبه ، أملوم إن راد قلبه على التنقل فى الهوى ؟

ياقلب ! صهباء الهوى وبساطه وكئوسه المتجاوبات الصدح
وقف على متنقلين على الهوى يبغون من لذاته ما يسنح
متبدلين موائدا وأحبة ماخاب من حب فآخر يفلح
فالحب آسيه وراء عليله فيهم ، وبلسمه على ما يجرح[٤]

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٥١ قصيدة الأطلال
(٢) المصدر نفسه ص ٥١ - ٥٢ القصيدة نفسها
(٣) المصدر نفسه ص ٥٣ - ٥٤ القصيدة نفسها
(٤) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ١٩٠ - ١٩١ قصيدة الختام

حجج مغرية . . إنى أكاد أتمثل كبرياءه المجروحة وهى تملى على قلبه حججها وكأنها أعذار تشفع لها فى نكث العهد ونقض الميثاق . . . ولكن القلب العميد يبدو أنه غير مقتنع . . . إذ لو أطاع لما صاح به شاعرنا :

ياقلب . ويح ثباتنا ماذا جنى أترى شعاعا فى البقية يلمح (١)

لاتحسب هذا البيت يأسا خالصا فان فى الشاعر ذماء من أمل يبعثه فيه عصيان القلب . . . ترى هل عند القلب أسباب للعصيان ؟ . . . هل وراء إصراره على الوفاء سر ؟ إنه يريد أن يستوضحه ولكن كبرياءه مثخنة بالجراح لاتحتمل جديدا وهى تقسر نفسها قسرا على الإباء ماذا يفعل إذن ؟

ليصطنع الغضب . . . ليزجر القلب فى تساؤل المستنكر وهو فى استنكاره يتلهف على جواب :

ياقلب . ويح ثباتنا ماذا جنى أترى شعاعا فى البقية يلمح

وانتصر القلب الذى يدين بالوفاء ، وها هو ذا الشاعر يترطب لسانه بعتاب رقيق وكأنه صلاة :

يا أيها الحب المقدس هيكلا ذاق الردى من عابديك مسبح
كثرت ضحاياه وطال قيامه وصيامه فمتى رضاءك تمنح ؟
يادوحة الأرواح يحمد عندها فىء ويعبد زهرها المتفتح
أينال ظلك والرعاية عابث بجلالك البادى وآخر يمزح
ويبيت يحرمه قتيل صبابة قضى الحياة إلى ظلالك يطمح (٢)

إنه صفوح . . . تسأله كيف الحال فيقول :

كم تقلبت على خنجره لاالهوى مال ولا الجفن غفا

---

(١) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ١٩١ قصيدة الختام

(٢) المصدر نفسه ص ١٩١ - ١٩٢ والقصيدة نفسها

وإذا القلب على غفرانه　　كلما غار به النصل عفا[١]

إنه محب رقيق . . . رقيق حتى حين يلوح بالهجر والفراق :

وهب الطائر عن عشك طارا　　جفت الغدران والثلج أغارا
هذه الدنيا قلوب جمدت　　خبت الشعلة والجمر توارى
وإذا ماقبس القلب غـدا　　من رماد لاتسله كيف صارا
لاتسل واذكر عذاب المصطلى　　وهو يذكيه فلا يقبس نارا[٢]

وهو فى الهجر حنان مشتاق :

كثر الهجر على القلب فهل　　من سلو أو بعاد يرتضيه
أنت فجر من جمال وصبا　　كل فجر طالع ذكرنيه
كيف جانبتك أبغى سلوة　　ثم ناجيتك فى كل شبيه
أيها الساكن عينى ودمى　　أين فى الدنيا مكان لست فيه[٣]

ولا يلبث طويلا حتى يغلبه هواه فيستعطف :

ألمى محا ذنبى إليك وكفرا　　هبنى أسأت ألم يحن أن تغفرا
ظمـآن لو باع الأحبـة قطرة　　بالعمر والدنيا جميعا لاشترى
أخفى جراحك واستعز بفتكها　　غرّيدك الشادى المحلق فى الذرى[٤]

ولناجى فى الحب تاريخ حافل ، وسأدعه يروى لك قصة من قصص حبه :

زرتنى كالربيع فى موكب الزهر له روعة وفيه رواء
ولك الوجه أومض الحسن فيه　　والتق السحر عنـده والذكاء

(١) الدكتور ناجى ديوان ليالى القاهرة ص ٤١ قصيدة الأطلال
(٢) المصدر نفسه ص ٤٨ القصيدة نفسها
(٣) المصدر نفسه ص ٨٨ - ٨٩ قصيدة عذاب
(٤) المصدر نفسه

وشحوب كظل خمر وللندمان تجلو شحوبها الصهباء
ولك الجيد أتلعا أودع الصانع فيه من قدرة مايشاء
قد من مرمر وشعشه الفجر ورد وصب فيه الضياء
وانا الطائر الذى تصطي نفسى السماوات والذرى الشماء
راشنى صائد رمانى فأدمانى وولى الجانى وعاش الداء(١)

أيها أروع موكب الزهر أم معرض الحسن والسحر والذكاء ؟ هل راقك هذا اللون من الشحوب كظل الخمر ؟ وهل أطربك الغموض الفنى فى قوله (اودع الصانع فيه من قدرة ما يشاء) ؟

ومما رأى فى حبه ، هذه المشاهد التى يرويها فى هذه الابيات :

عشت حتى أرى خمائل حبي تتهاوى كشامخ ينهار
تحت عينى ويذبل الحسن فيها ويموت الربيع والانوار
ما انتفاع الفتى بموحش عيش بقيت كأسه وطاح العقار
وبقاء البساط بعد الندامى كأس سم بها يدور البوار
ما انتفاعى وتلك قافلة العيش وفى ركبها اللظى والدمار
الدمار الرهيب والعدم الشامل واللفح والضنى والأوار(٢)

أى عذاب !

إنك تقرأ سيرة حبه فيهالك البهر من كفاحه وتوزعه بين الرضا والغضب والشك واليقين والوفاء والغدر والتذكر والنسيان . . .

زعم مرة أنه سلا فانطلق يرحب بضيف السلوان

فى كفه كأس يقدمها تمحو العذاب وتغسل الندما
وتسأله عما فى الكأس فيقول كالمستريح وهو المعنى

---

(١) الدكتور ناجى ديوان ليالى القاهرة ص ٩٢ - ٩٣ ملحمة السراب
(٢) الدكتور ناجى ديوان ليالى القاهرة ص ١٠١ السراب فى السجن

فيض من النسيان يغمرنى   انى لأحمد سيله العرما
مستسلما للموج يغمرنى   فرحان حين أعانق العدما[1]

أتصدق أنه (فرحان) حين يعانق (العدما) ؟ . . . إن بيته الاخير يشى بحسرته . . .

ماذا تنتظر أن يكون قلبه بعد أن شرب من هذه الكئوس وغص بها ، وعانى هذه الاهواء لقد

مزقته فصار والله لايقدر حتى أن يسأل الله رفقا
لجة بعد لجة كلما صارع ردت له أمانيه غرقى
فيلق بعد فيلق حجب الشمس ولم يبق للنواظر أفقا
وسنان الغروب تغزوه حمرا   وسنان العذاب تطعن زرقا
وجيوش الظلام تزحف زحفا   وثقال الأقدام تسحق سحقا[2]

وهو على ولعه بالغيد يسخط احيانا عليهن ، هؤلاء الدمى ، هؤلاء الأصنام الجميلة . . . ويزجر قلبه فلا يرعوى :

ياقلبى الشاكى المعذب   هذه الشكوى لما ؟
ياطفلى النواح آن   اليوم أن تتعلما
أسفى لغالى الدامع   تبذله لمرتخص الدمى
تبكى على العرش المصو   غ من المدامع والدمى
تبكى تراب الأرض   مصبوغا بألوان السما[3]

لا تصدق . . . إنها ثوره غضب كسحابة صيف . . . أتذكر طول شكواه من الحياة وتمنيه الموت وإشادته (بمباهج) القبر ؟ أتعرف ماذا

---

(١) الدكتور ناجى ديوان ليالى القاهرة ص ٨٥ قصيدة النسيان .
(٢) الدكتور ناجى ديوان ليالى القاهرة ص ٧٢ قصيدة بعد الفراق
(٣) « « ص ٨٢ « الصنم الجميل

حدث بعد هذا ؟ لاح له من يحبه فسرعان ما نسى آلامه وانطلق يقول :

لولاك والعهد الذي عقدت بيني وبينك مهجتي ويدي
اضجعت جنبي جوف غيهبه وأرحت فيه بالي الجسد[١]

ووافاه الحبيب وصفا له فتهلل كالطفل وابتهج كالعصفور حط على جنة فيها الماء والحب والشجر ، لقد سمعته جذلان يقول:

طابت بك الأيام وافرحتاه أنت الأماني والغنى والحياه
فليذهب الليل غفرنا له مادام هذا الصبح عقبي دجاه[٢]

انها الطفولة المتجددة الكامنة فى طبيعة كل عظيم . . . ولعل هذه الطفولة المتجدده الكامنة فى طبيعته ، يرقدها حبه للجمال ، وهيامه بالحب ، هى التى حدت به الى التراجع عن تمنى الموت بل حدت به الى الإشفاق على نفسه منه حتى ليتلهف على الحياة ونعيمها ويتساءل

يا أيها العالم الآخير ماذا ترى فيك من نصيب
أراحة فيك للضمير أم موعد فيك من حبيب[٣]

أرأيت انه يتمنى لو اتصلت مواعيده فى الأخرى كالأولى . . . ولعله تذكر برمه بالحياة وأحس أنه يناقض نفسه بمخايلتها فراح يفسر جزعه من الموت بجهل الحي له ، ولو علمه لاستعذبه . .

كم يعذب الموت لو تراه اوكان فيك اللقاء يرجى
ينفض عن عينه كراه ويقبل الراقد المسجى[٤]
لكن شكا بما تجن خيم فوق العقول جمعا
عجبت للمرء كم يئن ويستطيب الحياة مرعى[٥]

---

(١) الدكتور ناجي ديوان وراء الغمام ص ٤٩ قصيدة الميعاد
(٢) « « ليالى القاهرة ص ٢٥ « النوار
(٣) و (٤) و (٥) الدكتور ناجي . ديوان وراء الغمام ص ٦٠ قصيدة الليالى

إنه لاشك يلمح نفسه فى هذه الأبيات .

ويتصل بهذا فزعه من الشيب نذير المغيب والحرمان من الحبيب :

يا ويلتا من عمرى الباقى   هذا سواد تحت أحداق
هـذا بياض الشيب واعجبى   من مغرب فى زى إشراق[1]

ويبدو أن الحب يخرج المحب عن طوره ويبدل صورته أحيانا ، وإلا فكيف يقول ناجى السخى الخير مثل هذا البيت المشوب بالأنانية :

ونود لو خلت الحياة لنا   كطريقنا وغدت بلا أحد[2]

إنه طغيان الحب ... فاعذره ..

وناجى المتدفق العاطفة فى الحب والفرح ، عميق العاطفة فى الحزن ، سخين الدمع ، شجى النواح .. سهر عند مريض حبيب يعنى به ، وكان وداعه فى الصباح فودعه بقصيدة باكية منها :

فيم الغد وغدا وأين رواحى   ويح الصباح ! لقد مضى بصباحى

. . . .

يا هاتفا باسمى فديت مناديا   رد النداء عليه حر نواحى
يا آسى الآسى لمت جراحتى   وأسلت يوم نواك أى جراح
طأطأت للبين المشتت هامتى   وخفضت للقدر المغير جناحى
أى الليالى العاتيات سهرتها   فى أى آلام وأى كفاح
هدم الضنى العادى قوى شكيمتى   وثنى معاندتى ورد جماحى
وطغى على الملك الموسد بيننا   فى لطف زنبقة وضعف أقاح[3]

---

(١) الدكتور ناجى ديوان ليالى القاهرة ص ٧٥ . قصيدة شكوى الزمن
(٢) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٨٦ قصيدة المساء
(٣) « « وراء الغمام ص ١٤٢ قصيدة وداع المريض

ولكنه ما لبث أن تسلى بحكم طبيعة الطفولة المتأصلة فى نفس الفنان فنراه بعد أن أطلق هذه الأنات :

عاد الشسق إلى قديم شقائه ... ومحا من الدنيا السعادة ماحى
وبح الحياة اليوم أين جمالها ... وعلام إخفاقى بها ونجاحى
أنت الذى وهب الحياة لميت ... فى الأرض منفرد بغير طماح
أشرقت فى ظلمائها وغمامها ... وطلعت مثل البارق اللماح[1]

تسلى ووجد على الاثر من يقول له :

أدركت عندك يومى الموعودا ... ولقيت فيك مثالى المنشودا
وافرحتى بك فرحة الطفل الذى ... يلهو ويخلق كل يوم عيدا
وافرحتى بك فرحة الطير الذى ... ملأ الروابى المصغيات نشيدا
طربت لصدحته وصفق طاهرا ... جذلان فى عرض الفضاء سعيدا
فى موكب من قلبه وحبيبه ... من راح تحسبه العيون وحيدا[2]

أرأيت ؟ ... إنه لم يعد وحيدا .. وإذا تأملت الاسم الذى خلعه على القصيدة (فرحة جديدة) وجدته ينم عن شعور بالتلهى ، وأنه قلب الصفحة وبدأ عهدا جديدا وفرحة جديدة . إنها الطفولة كما قات ، والأدب كما يقول شاعرنا نفسه (تنبت جذوره وعناصره فى الطفولة . فن المألوف أن الطفل ينام على اللحن الموسيقى ، ويستأنس بالغناء ، ويحب القصة الخيالية ، وقد يؤلفها هو نفسه ...

فالواقع أن الأديب طفل لم يكبر .. والأديب الصحيح من له خصائص الطفل ، فى فرحته بالأشياء ، وسذاجته ، وتهلله ، وضحكته ، وخياله ، وفرحه

(١) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام ص ١٤٣ قصيدة وداع المريض
(٢) المصدر نفسه ص ١٤٤ قصيدة فرحة جديدة

وابتهاجه بالموسيق)[١] .

إنه سريع الاستجابة ، كصفحة الغدير تتأثر بأوهن النسيم ، والحب عنده قد يولده العطف كما يولده الجمال والإعجاب سواء بسواء . لقد عرفنا أنه حزين ... والحزين من طبعه منعطف إلى كل حزين .. منجذب إلى كل شجى مكروب .. وهكذا .. يرى ناجى إنسانة حزينة فيميل إليها وما أن يتأملها حتى يهتف :

فأنا إن لم أكن توأمها فكأنى كنت فى الغيب أخاها
نحن أرواح حيارى ثملت وانتشت سكرى على لحن أساها[٢]

ثم يحدثها حديث ملهوف وجد خدن روحه وصورة نفسه :

قربى روحك منى قربى ظلليني واغمريني برضاها
وتعالى حدثيني . حدثى أنت مرآة شجوني وصداها[٣]

إنه ينشد الظل والمأوى والسكينة .. إن قلبه مشبوب يهفو إلى ... شيء ...

ويبدو ناجى لعينيك أحيانا حالما يتمتم :

أخيالا كان هذا كله ذلك الجسر الذى كنا عليه
والمصابيح التى فى جانبيه ذلك النيل وما فى شاطئيه
وشعاع طوفت فى مائه وظلال رسبت فى ضفتيه
وحبيب وادع فى ساعدى ووعود نلتها من شفتيه[٤]

---

(١) من مقال للدكتور ناجى عنوانه (سيكولوجية الأديب) مجلة الرسالة ص١٩٤

(٢)و(٣) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام ص ١٥٦ — ١٥٧ قصيدة إلى س

(٤) الدكتور ناجى « ليالى القاهرة ص ٢١٣ — ٢١٤ قصيدة الخريف

وهو من دنياه الخاصة فى عالم فريد وأحلام يقظته حشد حافل . فاذا رأيته صامتا فلا تحسبه ساكتا .. إنه فى صمته يتحدث ويسمع ...

... أتراك فى شك مما أقول ؟ إذن اسمع معى أحاديث صمته ..

رفرف الصمت ولكن أقبلت — من أقاصى السهل أصداء بعيدة
تتهادى فى عباب ساحر — مرسل للشط أمواجا مديدة
كم نداء خافت مبتعد — تشتهى أذن الهوى أن تستعيده
عاد منسابا إلى أعماقها — هامساً فيها بأصداء جديدة[1]

رفرف الصمت ولكن هاهنا — كل مافيك من الحسن يغنى
آه كم من وتر نام على — صدر عود نوم عاف مطمئن
وبه شتى لحون من أسى — وحنين وانين وتمن
رقد العاصف فيه وانطوت — مهجة العود على صمت مرن[2]

وناجى عينه نفاذة تلمح الجمال متبديا ومقنعا ، ويخاطبه فى الغادة الهيفاء ، ويخاطبه فى الراهبة الباكية سواء بسواء ... أما حديثه مع الأولى فذائع ... وأما حديثه مع الأخرى فها هو ذا :

يا ربة الحسن الذى تصبو له — مهج العباد وترتجيه جميعا
الحسن من حق الورى وحملته — متأبيا مستخفيا ممنوعا
فى الدير مثواه وفى جنح الدجى — يتحدر الحسن الشهيد دموعا
تتحرق الدنيا عليك وربما — أوقدت نفسك فى الظلام شموعا[3]

وناجى متيم بالجمال ، يهواه بل ويقدسه ، حتى ليوقعه الهوى والتقديس أحيانا

---

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٢١٤ قصيدة الخريف
(٢) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٢١٤ - ٢١٥ قصيدة الخريف
(٣) « « ص ١١٠ قصيدة الراهبة الباكية

فى مآزق إنسانية لو صح هذا التعبير ، كهجائه لمكفوف بنى بحسناء[١] . . .
وكان الظن بناجى الطبيب الشاعر فى مثل هذ الموقف أن يحمد للأقدار تعويضها الرجل عن النور السليب الجمال الحبيب .. وهل الأبصار شىء ينال بالاكتساب الذى يحسب لصاحبه الفضل فيما كسب ثم عجز عنه ذلك الرجل حتى يلام عليه ؟ ولكن إعزاز ناجى للجمال وضنه به وتعصبه له هو الذى أثار غضبه على المسكين .

وولع ناجى بالحب والجمال والشعر يعزى فيما يعزى إلى شعور متأصل فيه بقصر عمره ... وهذا الشعور يلوح لك فى ثنايا شعره كقوله :

ذاك عهدى لكن قلبك لم يقض ديون الهوى ولم يرع عهدا
والوعود التى وعدت فؤادى لا أرانى أعيش حتى تؤدى[٢]

لهذا يريد أن ينتهب اللذات ، ولهذا يريد أن يتعجل المسرات . على أن السبب الأقوى لا يزال عندى يكمن فى طبيعته الخيرة وفطرته النقية التى تدفعه بوحى منها إلى الخير والجمال والحب . . .

وقد كان ناجى يحب الحب نفسه ومن ثم كان كل ما فى الحبيب يوحى اليه ، ويسر فى أذنه حديثا يعلنه شعره .. فجماله .. وحلاه ، وذكاؤه ورباه ، وغضبه ورضاه ... عرائس إلهام ... وما بالغريب هذا ... ولكنك تلمح فى مؤخرة الموكب الحافل ... كلبا صغيرا .. إنه ميكى ... وما عمله ؟

فيم السؤال وكل شىء طيب من أجلهـــا
وبنفسه حب قصاراه الحياة بظلها
سارت وكل متاعه فى أن يسير بقربها

---

(١) الدكتور ناجى ، ديوان وراء الغمام ص ١١١ قصيدة هجاء أعمى بغيض
(٢) « « ليالى القاهرة ص ٥٦ قصيدة ذات مساء

يستاف نعليها ويأبى فى الوجود منافسا
فاذا تخيل دانيا من تربها أو لامسا
يختال ملء نباحه زهواً ويخطر حارسا
فى وثبة هيهات يسأل ما يكون وراءها
الأمر كل الأمر أن يغدو يدافع دونها
والنفس تنكر فى الضحية عقلها وجنونها[1]

إذن ليس (ميكى) فضولا فى الموكب الرائع ... فى نظر الشاعر على الأقل ... إن الصديق الصغير يؤدى عملا جليلا ...

ولقد راق ناجى تعريف تيوفيل جوتييه للحب حتى ليعده أحسن ماقيل على الاطلاق فى التعاريف الأدبية إذ الحب فيه (أن يسلم شخص تمامانفسه لآخر ، وأن يتنازل له عما يملك وما يعتقد ، فلايرى إلا بعينه ولايسمع إلا بأذنه ، أى أن تصير واحداً فى اثنين ، بحيث لايعرف هل أنت ، أم أنت الآخر ، فتمتص شعاعا ، وتنشر شعاعا ، فتصير القمر مرة ، والشمس أخرى ، وترى كل الخلق والوجود فى الشخص الآخر ، فينتقل مركز الحياة ، عندك إلى هناك ، وتكون مستعدا لأكبر التضحيات وإنكار الذات ، ومستعدا لأن تتألم على الصدر الثانى كانه صدرك أنت . والمعجزة أن تتضاعف وأنت تبذل ! هذا هو الحب !)[2] .

وفى التفصيل دلالة لاتخفى ، لأن سيرة شاعر الغزل ، تفسير واف للتعريف ، وشعره فى هذا المجال آيات شواهد ...

وما كنا لنحتفى بغزله هذه الحفاوة لولا أنه يتغزل عن شعور لاتقليد ، ووحى لاصنعة، وطبيعة لاتكلفا .

---

(١) من شعر له لم ينشر بعنوان « ميكى »
(٢) كتاب (كيف تفهم الناس) للدكتور ابراهيم ناجى ص ١١٨

وهذه النتائج التى استخلصتها الدراسة من شعره لم يغير منها الزمن . فبين يدى الآن شعره المخطوط وهو لحسن الحظ يحمل تاريخا مميزا إذ كتب عليه من ١٩٤٨ – ١٩٥٣ .. أى شعر سنيه الأخيرة .

وقد وقفت عند هذا الشعر وقفة خاصة عل فيها اتجاها آخر ، أو رأيا جديداً ، أوتحولا فى سيرة حياة .. فماذا وجدت ؟ الغناء هو الغناء ، والرفيف هو الرفيف ، والهفهفة كالعهد بها كلما لاح جمال أو تبدى حسن أو ضاع عبير ... والعاطفة واها له منها ... لقد أحسست خفقها قويا معبرا فى شعر الغروب ... أحسستها واعجبى جياشة عارمة لم يبترد لها أشواق ، ولم يرو منها أوام ...

وقد سمعنا شعر الشباب فى ديوان (وراء الغمام) ، وشعر الرجولة فى ديوان (ليالى القاهرة) ، فهـل كان أحر جوى وأرق هوى من شعر المغيب هذا :

أنا وحدى فى البيد حيران هائم ... فتى تذكر القفار الغمائم
رحمة ياسماء إن فمى جف ... وحلقى عن الموارد صائم
أيها الطاعم الكرى ملء جفنيك ... وجفنى من الكرى غير طاعم
أبكنى واستبد بى واقض ما شاء ... لك الحسن واظلم وخاصم
غير هذا النوى فإن لياليه ... ظلال من المنايا حوائم
بالذى صنت عهده لم أخنه ... ومتى خانت الأكف المعاصم
والذى حكمه كأقدار عينيك ... فما منهما ولا منه عاصم
أى صوت من الغيوب يناديني ... فأطوى له الدنى والمعالم
قدر مشعل على شفة تدعو ... فأخطو على اللظى غير نادم

صاغ ناجى هذا الشعر المشبوب فى يونيه سنة ١٩٥١ أى قبل منيته بسنة وبضعة شهور فجاء كشفق المغيب أشد ما يكون احمراره توهجا وضراما قبيل الرحيل ، وكأن الشمس الذاهبة ولوع بالحياة والنور والنهار ، فهى تريق

على صفحته ، وتذيع فى جوه أشواقها الملتهبة الدامية كى ... لا ينسى ...

....

أبكنى واستبد بى وافض ماشاء   لك الحسن وأظلم وخاصم

لا أريد أن أفسر هذا البيت كى لا يفسده الشرح والتفسير ولكنى سأترك الشاعر نفسه يفسره بشعره لعل تفسير الشعر بالشعر أكرم لجمال الفن .. وها هو ذا ناجى يفصح عن السر فى طلبه الغريب ...

يا روح روحى ودوائى وجروحى
على قلبى تنقلى واذهبى وروحى
عذابك يلهم وهجرانك يوحى
فما بالك بالقرب ووجهك الصبوح

هذه فلسفة الحب ! . . لتكن . . . سمها ماشئت . . . ولكنها عندى حنان . . .

ومن شعر ناجى نتبين أنه ليس من الموحدين فى الحب فله محاب كثيرة ...

وقد ذاق ألوانا من الحب فتارة يفتنة (السحر والذكاء) ، وآنا يغريه الجمال ..

ومن محابه البيضاء الزاهرة والسمراء الفاتنة .. وكما راعه الاشراق فى الأولى . سبته السمرة والجاذبية فى الأخرى حتى كاد أن يعبدها ، ومن صلاته لها هذه الترنيمة :

ملكى ومحـــرابى وقدس فؤادى المتبتل
لمن الجمال الفخم يرفل فى الغلائل والحلى
متألقا فى خاطرى متألقا فى المحفل
أقبل بما ولت به الدنيا وهات وعلل

... وابسط جناحك فوق قلبينا الغداة وظلل
طر حيث شئت .... فان دنوت لناظرى فتمهل
واها لهذى الطلعة السمراء عندى المجتلى
بغلائل الأضواء وشتها رقاق الأنمل
وشت بشاشتها نضارة وجهك المتهلل
فكأن طفل الفجر نام على وسادة جـدول(١)

ولا أريد أن أزيد من الأمثلة فهى قريبة منا فى الصفحات السابقة ...

وقد أرضى الحس كما أغلى من حب الروح سواء بسواء ...

على أنه مغبون قلما ينال ، ولعل هذا هو السر فى تزعزع ثقته بالوفاء على رغبته فيه ..

* * *

وشاعر الغزل تغنى به منذ طفولته الباكرة ، فقد ولد شاعراً كما يولد كل صادح غريدا ... جاد ناجى بالشعر وهو فى الثالثة عشرة من عمره !... وطبيعى ألا ننتظر فى مثل هذه السن الغضة فحولة أو تدفقا ، ولكن حسب الغلام ابن الثالثة عشرة أن يقول :

هل أنت سامعة أنينى ياغاية القلب الحزين

إذن عرف الأنين مبكراً ...

ياقبلة الحب الخفى وكعبة الأمل الدفين

لقد نم على الصغير شعره .. . لقد عرف الحب غير أنه يخفيه .. وقد كانت له آمال تتعلق بهذا الحب وهو فى العاشرة أو نحوها ، حتى يمكن

---

(١) من شعرله لم ينشر بعنوان « سمراء المحفل »

وصفها فى الثالثة عشرة بالدفينة ! .. وهذه الآمال بالطبع تتجاوز رغبات الطفولة الولوع بالحلوى واللعب :

إنى ذكرتك باكيا والأفق مغبر الجبين
والشمس تبدو وهى تغرب شبه دامعة العيون
أمسيت أرقبها على صخر وموج البحر دونى

جلسة شعرية بلا مراء...

والبحر مجنون العباب يهيج ثائره جنونى

رفقا ياشاعرنا الصغير ... مهلا ياصغيرنا الشاعر ...

ورضاك أنت وقايتى فاذا غضبت فمن يقينى

لقد ارتدت طفولته المتمردة المتعلقة بمجد الفن إلى ضعفها اللائذ بالحنان يدفئها ويقيها .. إن هذا أشبه بنداء طفل إلى أمه يناشدها الرضا ويفزع من غضبها منه إلى نداء الحبيبة ..

وهل ابن الثالثة عشرة إلا طفل . . . ولكنه طفل واعد . . . وقد صدقت الأيام وعده فكان لنا منه شاعر الغزل . . .

* * *
* *
*

شعر ناجى

الشعر عندى هو النافذة التى أطل منها على الحياة
وأشرف منها على الأبد . .
وما وراء الأبد . .
هو الهواء الذى أتنفسه
وهو البلسم داويت به جراح نفسى عندما عز الأساة
هذا هو شعرى . ناجى

. . . .

وما دام شعره كان نافذته إلى الحياة ، إذن لقد ضمنه مرئياته وآراءه وانفعالاته بما شاهد ورأى ..

ونحن نريد هنا أن نطالع هذه المشاهد والآراء والانفعالات ثم نحكم عليها ... لا كما نحكم على العرض السينمائى نلقى الحكم فى كلمة أو عبارة ثم نمضى فى طريقنا المرسوم بعد أن ننسى الرواية بعيوبها ومحاسنها على السواء ... كلا ... إننا نريد أن نرى شعر ناجى بمنظار آخر ونحكم له أو عليه حكما من طراز آخر ... لقد كان الشاعر يحب من الناقد (أن تكون وظيفته كاتب حسابات الفن) ، عليه أن يدون الحسابات ، ويرصد الدخل والخرج ، ويعين الرصيد ، ويمحو من العملة القديمة ، ليبدلها بعملة جديدة ، فهو من ثم يكون حافظ التراث ، حافظ التراث القومى والتراث الإنسانى) [1]

ويرى طبيبنا الشاعر أن من واجب الناقد أيضا (أن يحاول وضع العمل

(١) الدكتور ناجى (رسالة الحياة) ص ٨٣

الأدبي فى مكانه من القيم الانسانية الثابتة ، بعبارة أخرى يتعدى الخصوص للعموم ، وهو لن يصل إلى هذه النتيجة إلا إذا اعتبر النقد وعيا للحياة الإنسانية) [١] .

إذن تعال معى نبحث عن مواطن الوعى للحياة الانسانية فى شعر ناجى ... ولكن بعد أن نبحث معا المادة التى صيغ منها هذا الشعر ...

لقد رأيت كيف استهل ديوانه الأول (وراء الغمام) بالأنين الذى لم يخفت حتى انتهى منه ، فاذا نحيته واستقبلت ديوانه الآخر (ليالى القاهرة) فان عينك لا تكاد تتحول عن شكوى الألم فى صور شتى ، فقصيدته (فى الظلام) فيها شجن قتال وظمأ مرد وطيوف رعب وآلام ووجد وجهد وأنفاس مضطرمة وضيق جاثم ووحدة ووحشة وركود ودموع ودم وأشواك وضنى وتعذيب ، وهى فى جماتها كابية مظلمة إلا ما يومض فيها من حين إلى آخر ، مثل قوله :

فيا أيكة مد الهدى من ظلالها ربيعا على قلبى وروضا من السعد [٢]

وقصيدة أنوار ، فيها الألم أيضا ولو أنه ذكرى تضاعف النعيم الماثل ولا ترنق صفاه :

يا من غفت والفجر من دارها شعشع فى الآفاق أبهى سناه
قد طرق الباب فتى متعب طال به السير وكلت خطاه
نقل فى الأيام أقدامه يبغى خيالا ماثلا فى مناه
عندك قد حط رحال المنى وفى حمى حسنك ألقى عصاه [٣]

---

(١) الدكتور ناجى رسالة الحياة ص ٨٥

(٢) الدكتور ناجى ديوان ليالى القاهرة ص ١٧ - ٢٤ قصيدة فى الظلام

(٣) المصدر نفسه ص ٢٥ قصيدة أنوار

وقصيدة (أحلام سوداء) عنوانها كاف للدلالة على ما فيها من سوداوية واعتكار وشك وظنون وحذر وغيوم وأنين وجراح ... وقصيدة (الميعاد الضائع) قصيدة خابية فيها الفزع واللهفة وقوة الحياة وشقاء الأيام والاقدار المسيئة والاحزان والنحيب والدموع والأمل الضائع والسعادة الذاهبة .

لا تخل هذه الالفاظ من عندى فى معرض التحليل ولكنها ألفاظه هو المبثوثة فى قصائده ... وإنما عملى أنا هو رصدها لدلالتها على نفسيته . .

والقصائد الباقيات ؟ ها هى :

(اثنان فى سيارة) فيها سوداوية ... ألم يستهلها بقوله :

العمر أكثره سدى وأقله   صفو يتاح كأنه عمران

وفيها اللوعة والحرمان والاستخفاف بالحياة وغايتها .

(لقاء فى الليل) وهذه أيضا لم تخل (مما يسوء) وحوالك ..

(ختام الليالى) فيها الهجران والتعذيب والفراق واللهيب والدموع

(الاطلال) إنها قصة حب عاثر ، التقيا وتحابا ثم انتهت القصة بأنها هى صارت أطلال جسد ، وصار هو أطلال روح ... طبيعى أنك لا تنتظر من هذه القصة شعرا منطلقا بل دموعا منظومة ..

(ذات مساء) و (راوية) و (يأس على كأس) كلها حزينة

(عاصفة روح) قاتمة كابية نفض فيها يده من كل شيء

(كبرياء) فيها الشقاء والسراب والشجن والدماء والضياع والهموم فماذا تبقى فى عالم البؤس ؟

(ذكرى) حمداً لله .. إن الذكرى التى طافت به باسمة هذه المرة ...

(رسائل محترقة) وما ذا تخلف الرسائل المحترقة غير الرماد والآلام ؟

(الغريب) توجس من الغد وجراح ولظى ووحدة ..

(بعد الفراق) إنه فيها يتمزق ...

(شكوى الزمن) ترى ما الذى يشكو المرء غير الجحود والتعذيب ؟

لم يشذ ناجى ...

(كل الورى) امتداد للشكوى ...

(راقصة) إنه يتلهى بوصف مايسر

(الصنم الجميل) بكاء وندم

(شكوك) فيها دم وندم وموت وعدم جراح وانتقام وعصف ولذع وسخط وجوى وبرم واضطرام

(النسيان) ، (المساء) ، (عذاب) لا يخفت فيها أنينه عما سبق

(ملحمة السراب)

(السراب فى الصحراء) سراب وصحراء ! ما وراءهما غير الإقفار والظمأ اللذين خلفا فى نفسه السقم والبرحاء والضيق واللهفة والتفزز والجراح والأشواك والبأس والحيرة ... لولا الأمل الذى كان يخايله لقضى عليه ...

(السراب على البحر) سيان البحر والصحراء عنده فى الإقفار والألم ...

(السراب فى السجن) ليس بعد السجن ضيق ...

(آمال كاذبة) ، (البعث) قصيدتان كابيتان

(المنصورة) ، (وقفة على دار) ، (الراهبة الباكية) ، (من ن إلى ع) كلها عليها مسحة الحزن ...

يلى هذا شعر المناسبات ويشغل أكثر من ربع الديوان ولنا عنده وقفة بعد قليل ...

ثم تأتى هذه المقطوعات والقصائد ...

(حب على الصحراء) فيها جفاف وسراب وحر وأباطيل وعبوس

(القافلة الصغيرة) يراها ويرى الدنيا معها ومثلها خيالا أو ضلالا ، أو محالا

(عاصفة) فيها الضجر والضنك والحظ العارب والبلاء والعصف

(عينان) فيها يأس وعقم وحسرة وأسف

(إليها) حب محروم

(بعد الحب) يأس

(أنوار المدينة) شكوى من القدر ..

(خمر الرضا) رحمة ناضبة وشجي ومجافاة وازورار وتقطيب . .

(غصن صغير) فيها صبر يتعلل بالأمل

(الخريف) لا تخلو ، ففيها غمام وكآبة وسقم وهم وشحوب وحزن وضباب وملل وحب ضائع وحسرة وبال مشتت وجرح

(العائد) حتى هذه ليست فيها فرحة اللقاء كما يوحي العنوان ...

وكان من صنع هذه الهموم شيوع هذه الألفاظ فى شعره :

سراب ـ خداع ـ جرح ـ دامى ـ حزن ـ بكاء ـ ملل ـ كآبة ـ سقام ـ سراب ـ خداع ـ جرح ـ دامى ـ حسرة ـ دمعة ـ عبوسة ـ ظلمة ـ شك ـ أحداث ـ آلام ـ لهيب ـ أوصاب ـ حيرة المرتاب ـ لهفة ـ تمزيق ـ هم مفرق ـ شكوى ـ أنين ـ يأس ـ عذاب ـ لظى ـ حران ـ احتراق ـ آهة ـ شقاء ـ أوام ـ صدى ـ تضرم ـ شجن ـ ضنك ـ نكد ـ حرب للحياة ـ جزع ـ ضيعة الرشد ـ الصبر ـ الجوى ـ عثار ـ شتات ـ جذوة ـ زفرة ...

ولما كان الحب عنده دواء لكل داء ، وكان همه ومتنفسه ، يشقيه ويرضيه ، ويسره ويبكيه ، فهو من ثم قد أشاع فى شعره هذه الألفاظ :

سلوى ـ راحة ـ أمل ـ حنين ـ حنان ـ رقة ـ شهد الرضا ـ رحيق ـ ضحك طفلين ـ ربوة ـ شدو ـ فتنة ـ رحمة تبتسم ـ نوار الخميلة ـ البرء المرجى ـ

نعمى - الجدول المنساب - النور الطهور - الحسن - الظلال - الأضواء - روضة - ضاحك - مخضل - أكمام - الأمانى البيض - ائتلاق النجم - نسيم - نبراس - وحى - إلهام - فرح رقص - أمن .

وقد رصدت هذه الألفاظ المنبثة فى شعره لأنها عندى مفاتيح نفسه ، فعند ما أراه يكثر من استعمال لفظ « العقوق » ، أحس أن فى حياته جحودا يضنيه ، فينفسه فى هذا اللفظ الذى يردده أراد أم لم يرد .

أما ألفاظ الطب فى شعره من مثل : أساه ، جراح ، حمى ، هذيان ، ضماد ، شحوب . فدلالتها واضحة ... إنها غلبة المهنة على أسلوب صاحبها ، أليس شاعرنا طبيبا ؟

هل اقتصر شعر ناجى فى ديوانه على الشكوى والحب ؟

إن الشعر نافذته إلى الحياة ... والحياة بلا ريب زاخرة بالوان أخرى فهل صورها ناجى فى شعره ؟

إن له قصيدة بعنوان (الحياة)[1] ... فلنرجع إليها ...

كم غادة بين الصبا والشباب ... تأنق الصانع فى صنعها
تخطر والأنظار تحدو الركاب ... ولفظة الإعجاب فى سمعها
وانظر إلى سـيارة كالأجل ... تخطف خطفا لا تبالى الزحام
هذا الردى الجارى اختراع الرجل ... هل بعد صنع الموت شىء يرام
وانظر إلى هذا القوى الجسد ... الباتر العزم الشديد الكفاح
قد أقبل الليل فحى الجلد ... فى رجل يدأب منذ الصباح[2]

هذا بعض ما جاء فى القصيدة ، سقته على سبيل المثال ... والقصيدة فى

---

(١) الدكتور ناجى ؛ ديوان وراء الغمام ص ٢٩

(٢) المصدر نفسه ص ٣٢ - ٣٣ قصيدة الحياة

بمجموعها لوحة كبيرة عليها صور تخطيطية سريعة تعطيك الملامح الظاهرة والهيئات ... واللوحة على ازدحامها تستقصيها عينك عند مطالعتها ، ولست فى حاجة إلى الوقوف طويلا لأنه ليس هناك ما تتامله مما يبحث عنه الشعراء وراء الملامح والهيئات ... ولعل الشاعر قد أحس بهذا فاستأنى فى آخر القصيدة عند ما فطن إلى مصير الجمال والغنى ، ولكنها أيضا فطنة العجلان الذى يقف عند السطح ولا يسبر الاعماق ... وهل فينا من يجهل أن الفناء غاية كل حى ؟

وفى موكب الحياة ، استوقفته الراقصة مرتين .. أما راقصة (ليالى القاهرة) [١] ، فهو معها رسام يصور بريشته مايرى من مفاتن ، ولا عليه أن يروى قصتها ويقرأ صدرها أحزانه ولواعجه ..

وأما راقصة (وراء الغمام) فقد رق لها ورثى لحالها ... وإنا لنلمح فى قصيدة هذا الديوان (قلب راقصة) نلمح الانسان فى الشاعر الفنان ، فلم ينظر إلى الراقصة نظرة عابث لا يرى فيها إلا تسلية ومتعة رخيصة ، ولكنه رآها إنسانا يعصره الصبر والالم ، يضحك وهو يبكى ، ويبيع السرور وهو مهموم ، ويرقص وهو يموت كالذبيح ...

لقد دخل الشاعر المرقص فرارا من الواقع فى جهامته ، والدنيا ومشاكلها ، وبهرته الاضواء بادىء الامر ، فكاد يكفر بعلمه وفنه ، وكلاهما أضناه ، وأوشك أن يختزل الحياة فى قدميس ، وكأس تدور ، وخمر ونور

لم لا أثور اليوم ثورتهم لم لا أجرب ما يحبونا
لم لا أصيح اليوم صيحتهم لم لا أضج كما يضجونا[٢]

---

(١) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام ص ٣٨ - ٣٩ قصيدة قلب راقصة
(٢) المصدر نفسه والقصيدة نفسها ص ٣٨

لم لا نذوق كئوسهم شفتى | إن الحجا سمى وتدميرى
فى ذمة الشيطان فلسفتى | ورزانتى ووقار تفكيرى
يا قلب ضقت وها هنا سعة | ومجال مصفود بأغلال
أتقول أعمار مضيعة | ما ذا صنعت بعمرك الخالى[1]

ولكن تساميه انتفض فجأة فلم يعد يرى فيه الراقصة المشتهاة ، ولكن الإنسان الأسوان الخليق بالرثاء ، فرثى لها وأسى عليها ومضى يقول :

عجباً لقلب كان مطمعه | طربا فجاء الأمر بالعكس
وأشد ما فى الكون أجمعه | بين القلوب أواصر البؤس

. . . .

من أنت يامن روحها اقتربت | منى وخاطب دمعها روحى
صبته فى كأسى وما سكبت | فيه سوى أنات مذبوح[2]

ولكنه بعد لقائها تركها تمضى لحالها وترتد إلى ما كانت فيه دون أن يكشف غشاوتها ويردها إلى نفسها أوحتى يستثير الضمير الاجتماعى من أجلها ، ويطالب بالعيش الكريم لها علها تتوب ...

وقد اصطنع ناجى الحكمة واتخذ سمت الشيوخ المجربين فى بعض شعره المخطوط ، فنظر إلى الراقصات نظرة عارف مجرب غير طامع فى مزيد ، وإن كانت أبياته تشى برغبة مقنعة لأنها تؤثر الاحتشام ... وإليك بعض أبيات قالها فى مرقص :

نادتنى الأنوار فيك كأنما | قفز الشعاع إلى الخواطر واثبا
فكأن طيرا من ثنايا دوحة | يسعى إلى نفسى الخفية هاربا
متعلقا بخناقها ومصفقا | بجناحه بين الجوانح ضاربا
وكأن ديرا قام فيه معربد | ليهز أجراسا ويوقظ راهبا

(١) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام ص ٣٨ قصيدة قلب راقصة
(٢) « « « ص ٤٣ - ٤٤ قصيدة «

راجعت نفسى، ويح نفسى ما الذى أرجو من الدنيا وقد ولى الصبا
يا هاته الدار التى وافيتهـا غرا كما تهوى الحداثة لاعبا
وأنا الذى خلقت له ولقلبه هذى المفاتن مسرحا وكواعبا
فنشرن لى مثل النضار ذوائبا وصقلن لى مثل الرخام ترائبا
الكأس غير الكأس لا ألقى بها طعما كأمس، ولست ذاك الشاربا
فكأننى فى إثر حلم قد عفى قدحا ومسكوبا هناك وساكبا
هذى الدمى المتأبيات هصرتها عودا، ورويت الشباب ماربا
أليست هذه صحوة شوق غاف، ويقظة هوى وسنان ؟

....

وفى شعر ناجى غناء ... أما سمعته يغنى ؟ ... إن لم تكن فاطرب الآن :

أنت إن تؤمنى بحبى كفانى لا غرامى ولا جمالك فانى
فتعالى روى الظما فى عيونى واجفونى لقطرة من حنان
أى روح أحسه أى سحر سكبت فى هاته العينان ؟
وكأنى محلق فى سماء ومطل منها على الأكوان
مستعز بما منحت، قوى أجمع الكون كله فى عناقى (١)

غناء عذب ... أليس كذلك ... أيحق له بعد هذا أن يقول :

إنما الشعر مزهر قد حكى قصة الأمم
وبأوتاره المنى تتلاقى وتزدحم
هو ناى مرجع لشجى وما كتم
هو قيثارة الزما ن ونجواه من قدم
هو أنشودة الحيا ة وفيض من النغم (٢)

---

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ١٥١ - ١٥٢ قصيدة أغنية
(٢) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام ص ١٦٧ إلى روح الشاعر

. . .

أيطربك الناى المرن ؟ نعم بلا مراء ... وإذا احترق الناى الطروب ؟ لاريب أنك تأسى، ولكن رجع الأنغام يرتد إليك من بعيد فتستروح اللحن كاملا من جديد ... ويختلط الدمع على الناى المحترق بذكرى النشيد، أما أنت وأنا فقصارانا الدمع ... ومن بكى الجمال الغارب فقد أوفى ... وأما الشاعر الخلاق فإن الحزن يلح به فيهيم وحده فى ظلام الليل المحجب بالغوامض والأسرار ... يصوغ الدمع لحنا ويبعث من الشعر نايا، وهو المتهدم المتفانى، وكأنه يمثل صنع الله الذى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل، ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى، ثم يمضى يوقع أحزانه على الناى الجديد حتى يرق حبيبه ويسرى إليه ... فاذا لاح له الخيال المرموق هفا إليه، ورف بجناحين واستعد ليحتويه فاذا به لا يجد شيئا ... وإذا بكل هذا حلم يتلاشى كما يتلاشى غبش العتمة على أنوار الفجر، ويفتح الشاعر عينيه ويحدق فيما حوله، ويصغى، ويصغى فاذا الخيال هباء، وإذا الألحان أصداء ...

كم مرة يا حبيبى   والليل يغشى البرايا
أهيم وحدى وما فى   الظلام شاك سوايا
أصير الدمع لحنا   وأجعل الشعر نايا
وهل يلبى حطام   أشعلته بحوايا
النار توغل فيه   والريح تذرو البقايا
ما أتعس الناى بين   المنى وبين المنايا
يشدو ويشدو حزينا   مرجعا شكوايا
مستعطفا من طوينا   على هواه الطوايا
حتى يلوح خيال   عرفته فى صبايا
يدنو إلى وتدنو   من ثغره شفتايا
إذا بحلمى تلاشى   واستيقظت عينايا

ورحت أصغى وأصغى . لم ألف إلا صدايا[١]

. . .

وفى شعر ناجى قصائد فى مناسبات معينة .. أذكر هذا هنا على سبيل الإشارة والحصر فحسب ، إذ أنى سأفرد لها فصلا خاصا لأن شعر المناسبات عندى لا يحسب للشاعر لانه لم يواته طبيعة ، بل تكلفا ، فهو ليس بضعة من نفسه ، ومن ثم فهو ليس جزءا من شعره وإن جهل اسمه ...

وفى شعر ناجى قصائد حماسية ... ولكنه عندى شاعر الغزل فحسب ولا تنهض تلك القصائد حجة فى مقام الجدل ... أسمعت نداء الشباب ؟ إليك النداء :

وطن دعا وفتى أجاب بوركت يا عزم الشباب
يافتية النيل المسالم والكريم بلا حساب
جناته مرآتكم ولكم خلائقها العذاب
ولكم جمال الزهر رف على الاماليد الرطاب
ولكم فؤاد النهر رق على المحانى والشعاب
يمضى فيضحك للسهول ولا يضن على الهضاب[٢]

أحسب أن ليس بي حاجة إلى مزيد فمثل هذه الالفاظ الندية العذبة ، ألفاظ المسالمة والكرم والزهر والجمال والرفيف والنهر والرقة والضحك من طبعها أن ترقق من صوت المنادى فلا يسمع البعيد ولا يوقظ النائم ، ولا حتى ينبه الغافل .. ومثل هذه الالفاظ المشرقة المترفة فى عالم اللغة تدخرها مخيلة الشعراء لتسخو بها فى وصف الحبيب والقلب المشبوب ومجالى الطبيعة فى حضرة المعشوق المرموق .. ألم أقل لكم إن الشاعر لا يحسن إلا الغزل ؟

---

(١) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام ص ٢٥ قصيدة الناى المحترق
(٢) « « ص ١٥٨ « نداء الشباب

فاذا تحمس وأرسل (نداء للشباب) خرج كهمس المنى ، أو وسوسة الموج للشاطىء ؟

ولكن لانظلم الرجل ، نكمل الآية (لا تقربوا الصلاة ...) ، لقد ورد فى شعر النداء بعد هذا ألفاظ الغيل والليوث والناب وحب مصر والفداء والتضحية ... وردت حقا هذه الألفاظ القوية ولكن فى صياغة رقيقة كالمعتاد من شعر ناجى ، فهونت من فعلها كما يلف قفاز الحرير الأبيض اليد الخشنة فيحجب من الخشونة مظهرها ووقعها .. ولك الكلمة الاخيرة بعد هذا ... ها هو ذا النداء :

أصبحتم كالغيل تحجبه الليوث بألف ناب
قل للشباب : اليوم يومكم الأغر المستطاب
اليوم يبدو حب مصر فلا خفاء ولا حجاب
إن كان إثما يا شباب فلا رجوع ولا متاب
الله ينظر والليالى عندها لكم الحساب
هاتوا الفدا الغالى لمصر وأرخصوه كالتراب
المال ، والأرواح كل ضحية ولها ثواب

والآن حدثنى هل يقول هذا النداء على الاستنفار وإذكاء العزائم ؟

ولعل ناجى أحس هذا المعنى فضاعف من حماسته فى القصيدة التالية ، التى أرسلها (فى يوم الشباب) ، أو بمعنى أدق ضاعف من حماسة شعره ... فان حماسة نفسه التواقة إلى خير هذا الوطن وأهله لا تحتاج إلى مزيد ... وما بالمدح هذا ولكنه تسجيل للحقيقة وتقرير للواقع الذى يعرفه عنه مخالطوه ، ومرضاه وينبض به شعره وأدبه ، وما نحن بمنصفين إن لم نحمد الخير لأهله ، ونغبط على الفضل ذويه ...

وقصيدة ناجى (فى يوم الشباب) فيها أبيات عامرة كقوله :

قل للذى يبغى الصلاح لقومه — بنبيل صنع أو شريف جهاد
بالطب أو بالشعر أو بكليهما — كل الجهود فداء هذا الوادى
يا أيها الوطن الجريح وجرحه — بصميم كل حشاشة وفؤاد
قل للبناة المصلحين ألا اخلقوا — شم الذرا ورواسخ الاطواد
جيلا من النشء القوى إذا مشوا — رفعوا الرؤوس بعزة وعناد
لاخير فى الارواح تسكن موطنا — متخاذلا لا يرتجى لجلاد[1]

هذا مثال ، وفى القصيدة أبيات قوية ولكنها فى جملتها هادئة النغم رتيبة كسائر شعر ناجى ...

وفى شعر ناجى ترجمة عن الغرب وتعريب ، فقد ترجم عن الألمانية (دعاء الراعى) من أغانى هينه[2]

كما عرب عن ألفريد دى موسيه (التذكار)[3] .

والقطعتان حزينتان ، ولعل هذا السر فى أنهما صادفتا هوى من نفسه ، ففى الأولى حزن دفين وخوف ورجاء ودعاء ... وهاك بعضها :

يا أيها الحمل الوديع أنا الذى — يحنو عليك . أنا الحبيب الراعى
كم ليلة والرعب يمشى فى الدجى — والهول منتشر على الأصقاع
أغفيت فى كنفى وفى ظل الكرى — كالطفل فى أمن من الأوجاع
يارب قد وهت العصا واستأثرت — غير الليالى بالقوى الباع
يارب إن تك قد حكمت بفرقة — وأذنت للراعى بوشك زماع
فانظر إلى الحمل الوديع ، ووقه — شر النفوس وفتنة الأطماع

غير خاف أن ليس هناك حمل ولا راع ، ولكنها قصيدة رمزية فيها

(١) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام ص ١٦٠ - ١٦١ فى يوم الشباب
(٢) « « « « ص ١٢٥ - ١٢٦ وهى قصيدة رمزية
(٣) « « « « ص ١٢٧ ١٣٥

كبت وفيها برحاء ...

أما القصيدة الثانية ففيها دموع غائمة ولكنها عصية التسكاب وإن لم تستعص طويلا على كل حال فقد سالت فى آخر القصيدة حتى بلت صدى القلب وروت حرقته ، وطلت الماضى كما يطل ندى السحر خدود الورد وكما يباكر ريق الغيث أديم الروض ...

وقصيدة (التذكار) التى تستهل بهذه الأبيات .

بى نزوع إلى الدموع الهوامى غير أنى أخاف من آلامى
أيهذا المكان يا غالى الترب ومثوى عبادتى واحترامى
أنت مثوى الذكرى ومدفنها الغالى القصى المجهول فى الأيام(١)

هذه القصيدة معرض لفلسفة الحزن عندما يكابر ويتكلف الصبر ، ويصطنع الرضا ، بل يتمادى فيعبب الأسى ويرمى الأسوان بالضعف والهزيمة ، بل يستولد الهناءة من الحزن كما يستخرج الماس الألاق بلألائه من الفحم الأسود . . . ولعلك الآن تهفو إلى الوقوف على هذه الفلسفة . . فلسفة الحزن هذه :

قد تراءى الصنوبر النضر إذ أ ينع فى قاتم من الألوان
وتراءى لى المضيق البعيد الـ ـغور يمتد فى رخى المجانى
موحشات لكنها كن ألافى ومهد الهنىء من أزمانى(٢)

أنا ما جئت هاهنا أذكر الأشـ ـجان فى موطن وفيه هنانى
ذلك الغاب رائع الحسن والصمـ ـت مثال الجلال والكبرياء
وفؤادى عات كرائع هذا الغاب ، مستكبر على البرحاء(٣)

---

(١) الدكتور ناجى. ديوان وراء الغمام ص ١٢٧
(٢) « « ص ١٢٨ - ١٢٩
(٣) « « ص ١٢٩

من يشأ ان يفيض يوما بشكو   واه فما هذا موضع الأحزان
قل لشاك هلا مضيت لتجثو   عند مثوى ميت من الخلان
كل شيء حي هنا ، ونبات القبر   ينمو فى غير هذا المكان (١)

فسلام منى على الأيام   كيف آست فى النازلات الجسام
لم أكن أدرى أن جرحا بما   كابدت منه من فاتك الآلام
معقب لذة لنفسى   واحساس هناء لدى بعد التئام (٢)

ولكن هذه المقاومة كما قلت لك لم تلبث حتى انهارت وهاك لحن الختام :

إن تروا أدمعى فلا تزجرونى   ودعونى إنى أحب الدموعا
لا تجفف أيديكم أدمعا تنفع   قلبا لما يزل موجوعا
أدمعى ستر مسبل فوق ماض   قد تولى ما يستطيع رجوعا (٣)

إنى أرمى من وراء هذا إلى دلالة الاختيار ، فناجى وجد خلجاته مصاغة فعاش فيها بالقراءة والترجمة والتسجيل ...

وعرب ناجى قصيدة (البحيرة) عن لامارتين ، وإليك مطلعها وختامها لتعرف لونها من الحزن أو الفرح .. أما المطلع فهو :

من شاطىء لشواطىء جدد   يرمى بنا ليل من الأبد
ماقر منه مضى فلم يعد   هيهات مرسى يومه لغد (٤)

.. ولننتقل إلى الختام ...

وليبق ياهذى البحيرة فى   حاليك ثائرة وهادئة

(١) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ١٣٠
(٤) « « « ص ١٣٢
(٢) « « « ص ١٣٥
(٣) « « « ص ١٣٦

في باسق للماء منعطف   في رائعات الصخر ناتئه
في عابر النسمات مرتجفا   في النجم فضض صفحة الماء
في الريح أن أنينه وهفا   في الغصن نفس حر أحشاء
في الجو معتبقا برياك   خطرت ملاعبة رقيق صبا

. . .

في كل هذا هاتف باكى   سيقول يا أسفا لقد ذهبا[1]

ويبدو أن ناجى مال في سنيه الأخيرة إلى نظم الرباعيات إذ بين شعره المخطوط منها ٧٦ رباعية منتظمة في سلك واحد، تناول فيها حسن الحبيب والحنين إليه وإلهاماته واستبطاءه ونواه . . . وفي هذه الرباعيات أحزان ووساوس وحسرات وتأملات ونظرات في الحياة والحي ومصيرهما . . . وتنتهي الرباعيات بالتسليم بالواقع . . تسليم اليائس الذي لاحيلة له، الزاهد لأنه لم يجد، لا لأنه وجد فما اشتهى أو أراد . . . ومن هذه الرباعيات :

قلبي مع الناس ولحظي شرود   في عالم رحب بعـــيد الشعاب
عيني على سر وراء الوجود   وبغيتي عرش وراء السحاب

أرأيت الغيب الذي لايرى   كشفت لي مالا يراه البصر
ثم انحدرنا نستشف الثرى   عل وراء الترب سر الســـفر

والقمر الفضي بين الغيوم   يخفق كالمنــــديل عند الوداع
واحسراتا، هل صورته الهموم   كالزورق الغـــارق إلا شراع

ومن شعر ناجى الحر هذا المثال من . . . . « إليها » :

لم يزل في شميمي عطرك العبق . . .
وبين جفني خيال أحرص عليه كحياتي

(١) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام ص ١٣٩ - ١٤٠

وفى مسمعى ضحكة حلوة كرنين البلور . . .
وبين يدى كنز من يديك مسلمتين ومودعتين

ومن « . . بحر وذكرى ودمعتان . . »

يالله مما يحمل لى هذا المساء المعطر
المبتل الساكن . . . . مبتل لأنه
مندى بالدموع وساكن لأنه كالنغم
الذى يكون صمته أروع من إيقاعه

أحسب أنك تستاف نسيما من الغرب . . . . ولكن لاتنس أنه شرقى الطلعة ، مصرى الروح . . . . إنك تحسه قريبا منك . . . . وأنا أيضا . . .

وبعد فان شاعر ناقد غنى وتغزل وناجى واستعطف وتحرق وبكى وشكا ، ورسم صورا للحياة والأحياء ، وترجم وعرب ورثى وهجا ومدح ، وماجدوى الشعر وعمل الشاعر غير هذا :

ماجمال الربيع فى الروض إن لم يشد طير فى الروضة الغناء
ماجمال السماء والبدر إن لم يشد سار فى الليلة القمراء
واضياع النبوغ فى مصر إن لم تتحدث منابر الخطباء
واضياع النبوغ فى مصر إن لم يك تخليده على الشعراء[1]

أنا هنا لا أدعى أنه من المكثرين . . ولو فعلت ما أغنيت عنه شيئا ، فإن الفن بجوهره وكيفه لا بكمه ، والشعر ليس كرمال الشاطىء غير المعدودة ولكنه كدر القاع غير المنظور . . . وهو بعزته ونفاسته أمنية وهدف وثروة ونعمة ومتاع وجمال ولألاء . . .

(١) الدكتور ناجى ـ ديوان ليالى القاهرة ص ١٤٠

وهب الاكثار فضلا يحسب لصاحبه ، فما بالقليل من ناجى الطبيب هذه الباقة المؤتلقة من ديوانين ، فضلا عن المخطوط لو جاز أن تعد قليلة من شاعر منقطع ، فقد كان حسب الطبيب الآسى من ميزات الانسانية الرفيعة ماأبرأ من علات ، وضمد من جراح ، وأحيا من آمال ، وهدأ من روع ، وسكن من وجيب ، وأنزل من رحمة . . . وكم لناجى فى هذا المضمار من مآثر تؤثر ، وأياد تذكر بالحمد العميق . . .

شعر المناسبات

سأتناول فى هذا الفصل شعر المناسبات عند ناجى الشاعر ... وأنا ما قرأت لشاعر قط إلا أسقطت شعر المناسبات من ديوانه فى غير رحمة، لاسيما قصائد المديح، لأنى أنفر من هذا اللون بصفة عامة. وأراه من حيث المبدأ ظلماً للمادح والممدوح على السواء ... إذ هو غض من الأول الذى من حقه الارتفاع لخاصة الفن فيه، وتمثيله له، وهو ظلم للثانى لأنه يبطره ويفسده ويطغيه ويعميه عن حقيقة نفسه وحقيقة الأمور ...

ولكن شعر المناسبات عند ناجى يستحق الدراسة ولو تابعا، لأن فى بعضه بعض الدلالة على الشاعر مما لا غنى للدراسة المستشفة عنه ...

ولهذا الاعتبار وحده أمضى فى كتابة هذا الفصل ...

. . .

والقصائد التى نظمها ناجى فى مناسبات تتضمن الرثاء والمدح والهجاء..

الرثاء :

يحدث أحيانا على حساسية ناجى وعمق عاطفته أن تعصى دموعه فى الرثاء ...

انظر إلى رثائه للهمشرى[1] تجد شعرا فيه البلاغة والرصانة وإن كان أقرب إلى المدح منه إلى الرثاء ... وانظر رثاءه للشاعر محمد الهراوى[2] تجد

---

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة صـ ١١٥

(٢) « « صـ ١٢١

قصيدة فيها توليد شاعر وليس فيها حرقة باك .. ولا تثريب عليه فالحزن كـكل شيء مراتب ، وليس الذى يرثى صديقا أو زميلا كمن يبكى ولده أو أباه .. هذا يبكى نفسه وذلك يرثى غيره مهما كان .. وكم بين الاثنين ..

ولعل (شوقى) أظهر من رثاهم ناجى بشعره ، ولـكنه لم يوفه إلا فى قصيدة واحدة هى التى ألقاها بمناسبة ذكرى مرور العام الأول على وفاته ، فإنه فى (ساعة التذكار)[1] بكاه أحر بكاء وأوفى على الغاية من رثائه ، وهى صادقة اللوعة ، شجية الحنين ، مؤثرة الأنين ، عامرة الابيات .. إنى كثيرا ما أتذكر هذه الابيات المبللة بالدموع :

شجن على شجن وحرقة نار ... من مسعدى فى ساعة التذكار
قم يا أمير أفض على خواطرا ... وابعث خيالك فى النسيم السارى
يا عاشق الحرية الشكلى أفق ... واهتف بشعرك فى شباب الدار
يا من دعا للحق فى أوطانه ... ومضى ليهتف فى ديار الجار
الشام جازعة ومصر كعهدها ... نهب الخطوب قليلة الانصار

عام مضى ؟ يا للزمان وطيه ... فينا ويا لســواخر الاقدار
أين الإمارة والامير ودولة ... مبسوطة السلطان فى الامصار
خمسون عاما وهى وارفة الجنى ... تحت الربيع دؤوبة الإثمار
مد الخريف على الرياض رواقه ... ومضى الربيع الضاحك النوار

هيهات أنسى قبل بينك ساعة ... جمعت صحابك فى غروب نهار
والشمس فى سقم الغروب وأنت فى ... لون الشحوب معصفر بهار
منحت وقد ذهبت شعاعا غاربا ... كسناك طوافا على السمار
تشكو لى الضعف الملم لعل فى ... طبي مقيلا من وشيك عثار

(١) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام ص ١٧٢

وكشفت عن متهدم جال الردى ... متهجما في صرحه المنهار
فرأيت ما صنع الضنى في صورة ... حالت ، وخلى هيكلا كإطار
ووجمت ألمح في الغيوب نهاية ... وأرى بعيني غاية المضمار
وأرى النبوغ وقد تهاوى نجمه ... والعبقرية وهي في الأدبار

بي رغبة ملحة في أن تقرأ معي أيضا هذه الأبيات :

في ذمة الأجيال ما غنت به ... قيثارة سحرية الأوتار
صدحت بألحان الحياة ووقعت ... أنغامها المحجوبة الاسرار
والفن ما حاكى الطبيعة آخذا ... منها ومن إعجازها بغرار
مسترسلا رحبا كمين ثرة ... شتى السيول سحيقة الأغوار
متعاليا حتى الأشعة مشرقا ! ... متألقا كالكوكب السيار
شوقي ! نظمت فكنت براً خيرا ... في أمة ظمأى إلى الأخيار
أرسلت شعرك في المدائن هاديا ... شبه المنار يطوف بالأقطار [١]

تدعو إلى المجد القديم وغابر ... طي القرون مجلل بوقار
تبكي العراق إذا استبيح ولا تضن ... على الشآم بمدمع مدرار
وترى الرجال وقد أهين ذمارهم ... خرجوا لصون كرامة وذمار
فلو استطعت مددت بين صفوفهم ... كفا مضرجة مع الأحرار [٢]

ولقد أفرغ ناجي في هذه القصيدة كل ماينبض به قلبه من حب لشوقي ووفاء لذكراه حتى إذا دعي بعدها إلى رثاء جديد لم يجد فضلا من قول يقوله . فتعلق باهداب مسرحيات شوقي ! ولكن كيف السبيل إلى هذا والمقام مقام رثاء ... وحديث العشق عادة حديث زاه ، وهو أيضا متحلل يضيق بالوقار الذي يلازم الرثاء ؟ ... إن الشعراء حيلهم لاتنفد ... ولهم في الشعر

(١) الدكتور ناجي . ديوان وراء الغمام ص ١٧٢ - ١٧٧ ساعة التذكار
(٢) « « « ص ١٧٨

مداخل ومخارج برعوا فيها ...

لنناد ناجي (شوقي) :

يا ساكن الصحراء منفردا بها مستوحشا في غربة وتنائي
هل كنت قبلا تستشف سكونها وترى مقامك في العراء النائي[١]

ليتخلص بعد هذا بقوله :

فأتيت – والدنيا سراب كلها – تروي حديث الحب في الصحراء

ويمضي بعد هذا في وصف قيس وهيامه بخاصة، وقصة الحب منذ الخليقة بعامة ... حقا لقد أجاد وصف الحب وأسره .. ولكن لا ننسى أن المقام مقام رثاء ... إنه مأزق بلا شك، ولكن ناجي خرج منه بقوله :

يا للقلوب لقصة محزونة لم ترو إلا روحت ببكاء
خلدت على الدنيا وزادت روعة مما كساها سيد الشعراء[٢]

وليته وقف عند هذا الحد، ولكنه تعثر مرة أخرى إذ أردف هذا بقوله :

خلدت على الدنيا وزادت روعة من جودة التمثيل والالقاء
من فن (زينبها) ومن (علامها) زين الشباب وقدوة النبغاء[٣]

ما الذي أتى هنا بالتمثيل والالقاء و(زينب)، (علام) .. إنه حشو واستطراد غير مجد .. وإذا كانت القصيدة قد قصد بها الرثاء فهي عندي تتمثل في الأبيات الثلاثة الأولى فقط .. والشاعر معذور فهو بطبعه قصير النفس، وكلف نفسه القول مرتين متلاحقتين في موضوع واحد، سبق له فضلا عن هذا طرقه

(١) الدكتور ناجي ؛ ديوان وراء الغمام ص ١٨٠
(٢) « « ص ١٨٢
(٣) « « ص ١٨٣

أكثر من مرة فى حينه فلم يبق لديه شىء يقوله .. وهو إذا أعطى لم يستبق شيئا كما يقول ...

الهجاء :

هل تصدق أن (ناجى) له فى الهجاء شعر ؟ لا تحسبنى أتهم فان شاعرنا الرقيق إنسان له غضباته وبداوته وفوراته .. لقد كنت مثلك أستبعد عليه الهجاء ، ولكنى قرأت بعينى هذا الهجاء المر له (فى من اسمه عبدالحميد) :

رجل أرى بالله أم حشره　　سبحان من بعبيده حشره
يا فخر داروين ومذهبه　　وخلاصة النظرية القذره
أرأيت قردا فى الحديقة قد　　فاتته أنثاه على شجره
عبد الحميد اعلم فأنت كذا　　ما قال داروين وما ذكره
يا عبقريا فى شناعته　　ولدتك أمك وهى معتذره[١]

إنه يذكرنى بابن الرومى وأحدبه ... وعلى نفورنا من الهجاء فى ذاته إلا أننا لا نملك إلا أن نعترف بالفن المصور فى مثل هذا الشاهد الذى عرضته عليك .. إن كل بيت على حدة يجعل من المسكين المغضوب عليه هزؤا وأضحوكة ...

إن الاستفهام فى البيت الأول يحمل من التقزز والاشمئزاز ما تعاف منه النفس المطمئنة . . والمفاجأة فى البيت الثانى التى أحكمتها لفظة (يا فخر) بموقعها فى شعر هجاء ، ثم بما تلاها من ألفاظ تحيل معنى الفخر وتزيد السخرية إمعانا ، والصورة البشعة التى تكفل برسمها البيت الثالث ، والبيت الأخير من طراز البيت الثانى .. أو رأيت فى الدنيا أقبح ممن تعتذر أمه عن خلقته بعد أن خففت غريزة الأمومة من وطأة شناعتها الكثير ، ومع هذا

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٢٠٤

لا ترى (الأم) ندحة لها عن الاعتذار !! ما ذا تريد بعد هذا ؟

وتهكم ناجي عاصف لا يبق ولا يذر .. هل جاءك خبر الشاعر الذى هجاه فمسخه ؟ سأسوق إليك حديثه ورأيه فيه :

أيها الحى وما ضر الورى لو كنت متا
أو شعر ! ذاك لا بل حجر ينحت نحتا
تلقم الناس وترميهم به فوقا وتحتا
صحت من يأسى لما بركيك الشعر صحتا
آه يا قاتل يا سفاك ! حتى أنت حتى[1]

إن غريمه ليس نبي شعر ولكنه كافر شعر . .

ولكن الهجاء فى شعر ناجي أمثلة فردية على كل حال ، ولعله فى الأصل تفكه وجاوز طوره ، فان لم يكن فهو بادرة يصعب أن ينجو من مثلها إنسان ، بما فطر عليه من غرائز ، وما ركب فى طبعه من أهواء .

المدح :

وفى الديوان من شعر المناسبات مدائح ولكنه فى مدحه مقتصد بوجه عام فلا يعلى من ممدوحه إلا بما هو أهل له ، وبما هو عليه من فضل ، وما له من سجايا . . فلا ملق ينحل العاطل صفات الأمجاد ، ولا نفاق يحلق بأصيق الأرض فى السماء ، حتى لقد قال لأحد ممدوحيه فى بساطة :

لم نكرمك للوزارة والمنصب والمجد والسنا والرواء
نحن قوم نهيم بالرجل الكامل يمضى للأمر دون التواء[2]

وهو من إحساسه وتفرزه يخشى أن يسوء تأويل شعره الذى يجله على أن يلحق به رياء ، فيقول لذلك الممدوح أيضا عند ما شعر أنه كرر مدحه

---

(١) الدكتور ناجي ديوان ليالى القاهرة ص ٢٠٥
(٢) » » » ص ١٤٧

ولا أقول أكثر من مدحه، فتلك صفة تلحق المتنبي وأضرابه من شعراء المديح..

خذ بيانا نظمته شبه عقـــد منضد
مابه من تزلف جل شعرى ومقصدى[1]

وقد استخفه الطرب حينا فبالغ مبالغة العاطفة الوامقة فى شاعر صديق :

جاءت بأروع من هز البيان ومن أعاد مجـد القوافى مثل ما كانا

وهى مبالغة ... ولكنها على كل حال أهون بكثير مما فى دنيا الشعر ، شعر المدح خاصة من مبالغات ...

وله مدائح تبدو لنا الآن ممسوخة لأن أصحابها مسخوا ، ولكن هؤلاء مدحهم الشاعر قبل أن تشوه لهم صور ، وتحلولك ضمار ... مدحهم حين كنا مجمعين على مدحهم ، فهو لم يداج ولم يكذب ، بل لعل مديحه فى الوقت والظرف الذى قيل فيه كان مظهراً وطنيا فهو شاعر وأمته فى مهرجان ، من يترجم فرحها غير الشعر ؟ وهو شاد وأمته فى عيد ، من يغنى آمالها غير الفن ؟ .

ه ه ه

وممن كرمهم الدكتور ناجى ، الدكتور زكى مبارك غفر الله لهما .. ويبدو أنه كان صديقا فقد تبسط معه ناجى فى القصيدة التى قد ألقيت فى حفلة تكريمه بمسرح الهمبرا بالقاهرة ، ومنها :

فرح الأهل بالغلام الذى صا ر حـــديثا فى ندوة السمار
عمموه وقفطنوه فامسى أمل القوم ، فارس المضمار
ثم أمسى مطربشا واكتسى البذ لة ما بين ليلة ونهـــار
ثم أمسى مبرنطا يقصد السيـ ن ويغزو مدينة الأنوار[2]

---

(١) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام ص ١٩٩
(٢) « « « ص ١٩٩

ليس هذا فى الحق مدحا بالمعنى التقليدى المعروف عندنا ، ولكنها زمالة مشيدة ودود ...

ولقد مدح ناجى الشاعر الدكتور على إبراهيم فهل تحس فى مدحته افتعالا أو صنعة ؟ أم يؤكد لك كل بيت أنه صيغ من أجل الطب ، من أجل الرحمة ، من أجل الحنان ، من أجل شفاء الادواء ، من أجل الانسان فى أنبل صوره ، وأكرم سجاياه ، قبل أن تكون من أجل شخص على إبراهيم ... ليس فى القصيدة كلها بيت من مبالغة المحب أو وشى الشاعر ، ولكنه الصدق الذى من حق الرجل أن يقوله ، ومن الغبن أن يخفيه ... يقول الدكتور ناجى فى انصاف الزميل وفخر المواطن ، وتقدير الوطنى :

ولو أن الألى انقذت جاءوا ... يؤدون القديم من الجميل
ولو أن الألى علمت جاءوا ... يؤدون القليل من القليل
ولو منحوك عمرهم جميعا ... وما هو بالكثير ولا الجزيل
إذن لرأيت عمرك عمر نجم ... له فى اللانهاية ألف جيل
بربك كم وصلت حياة قوم ... وكم حاربت من داء وبيل
وكم أنقذت من أسر المنايا ... وكم نضو شفيت وكم عليل
إذا ما الموت أبدى ناجذيه ... إذا انطفأت عيون فى الذبول
إذا غامت محاجرها ظلاما ... كما غامت نجوم فى الافول
فما هو غير أن أقبلت حتى ... تبدل كل أمر مستحيل
كأنك لمع برق فى الأعالى ... يحيى مقدم الغيث المطول
كأنك واحة فى القفر لاحت ... رأتها أعين الركب الكليل
كأنك جنة فى البيد تندى ... بعذب الماء والظل الظليل
ولو أيامك العصماء جاءت ... بكل أعز مزدان حفيل
إذن لطلعن فى الظلمات بيضا ... من الغرر اللوامع والحجول
ولو أن المآثر ذات قول ... لقلت تكلمى وصفى وقولى

أضفها فهى أعمار أضيفت   وما تدرى لماضيك النبل[١]

هل الدكتور على إبراهيم إلا كما وصف ؟ ولو أوتى أحدنا موهبة الشعر هل يضن على الجراح على إبراهيم بمثل هذه الأبيات ؟ هل يستكثر على جراح مصر هذه الأبيات ؟ :

تعالى الله كم من معجزات   معلقة باصبعك النحيل
محيل القسوة الكبرى حنانا   ورافعها إلى فن جميل
معارك من دم أم ساح حرب   أسنتها منغمة الصليل
يسير المبضع الجبار فيها   بكفك سير مطواع ذليل
معارك كم كسبت بها حياة   وما لك فى المواقع من قتيل[٢]

إنى أسجل هذه الأبيات ولا أصفها فهى من الشعر الذى يحسن بالناقد ألا يصفه حتى لا يحد جماله بالكلمات، ولكنى أرددها فتشجينى كالنشيد، وأرددها فتسمو بانسانيتى على الترديد ... ليت قادة الحروب يعونها ليعرفوا كم بين الطبيب والقائد ... كم بين من يحيى الميت ومن يميت الحى ...

. . .

وبعد، فان الدكتور ناجى ليس مداحا وما كان المدح يوما من هواياته أو غاياته أو وسائله، ولكنه شاعر .. شاعر حقا ذلك الذى يقول :

اكتب لوجه الفن لا تعدل به   عرض الحياة ولا الحطام الفانى
واستلهم الأم الطبيعة وحدها   كم فى الطبيعة من سرى معانى
الشعر مملكة وأنت أميرها   ماحاجة الشعراء للتيجان
هومير أمّره الزمان بنفسه   وقضت له الأجيال بالسلطان

---

(١) الدكتور ناجى - ديوان ليالى القاهرة ص ١٢٨ - ١٣٠

(٢) « « « ص ١٣١

اهبط على الأزهار وامسح جفنها واسكب نداك لظامىء صديان[١]

ألا أنه أخلق بالمدح يخلعه عليه الآخرون ، ذلك الذى يستاف عطر الطبيعة فى الزهرة الناعسة ، والعشب الجاف .. فى الأيك .. فى الروض .. فى كل ما جادت به على هذه الأرض . . . دنيانا لماذا ؟ لأنه شاعر فنان . . .

* * *

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ١٩٦ - ١٩٧ قصيدة خمر الرضا

فن ناجي الشعري

نقد ناجي شوقي[1] على ضوء تعريف « لي هنت » للشعر بأنه (موسيقى وإقناع وخيال وصور) .. ومضى يطبق هذه الأوصاف على شعر شوقي .. والذي يهمنا هنا هو تعريفه لعناصر الشعر الأربعة في رأي صاحبه ورأيه ..

فالموسيقى عند ناجي هي (من حيث انها تحتاج إلى اللفظ والصياغة والانسجام ، فهي إذن في حاجة إلى الإلمام العظيم باللغة ، هذا إلى ذوق خاص لا يمكن اكتسابه بسهولة ، وإلى أذن تحسن الاستماع وتمييز الأنغام !)[2]

(أما الإقناع ، فهو قوة خاصة في الشعر ، بحيث يضطرك الشاعر إلى متابعته ، وإلى السير وراء رأيه والايمان به ، ويملك عليك مشاعرك ، بدون أن يملك أو يشعرك أنه يقودك وأنت تتبع ساحرا جبارا لا خلاص لك منه)[3] .

والخيال ... هو « إطلاق العنان للتصورات العالية ، لا للاستعارات والكنايات اللفظية ... »[4] .

وقد تناول ناجي في نقده لشوقي « الصور الشعرية » ، وهي تعني عنده (أنك تقرأ قطعة للشاعر فلا تملك إلا أن ترى الشيء مرسوما أمامك بوضوح مجسما قوياً بارزاً ..) .. أي أن الشاعر ينبغي أن يكون مصورا

---

(١) مجلة أبولو عدد ديسمبر ١٩٣٢ ص ٣٥٥ - ٣٥٦

(٢) و (٣) المصدر نفسه ص ٣٥٥

(٤) المصدر نفسه ص ٣٥٦

بوضوح ، وألفاظ الشعر يجب أن تكون موحية ..

وهذا التعريف للشعر الذى يؤيده ناجى يتضمن عناصر أخرى وإن لم يميزها ببيان — فتعريف « لى هنت » للموسيقى يشير إلى وجوب اللفظ الخاص للشعر أى المختار المصفى والصياغة تشير إلى الأسلوب ، والانسجام ، إلى التساوق العام والمواءمة بين اللفظ والمعنى ، والمناسبة بين أصوات القصيدة ومسافاتها بحيث تكون كلا موسيقيا متماسكا ..

وتعريفه للاقناع يحتم بروز شخصية الشاعر وأسرها بحيث يضطرك إلى متابعته ، وإلى السير وراء رأيه والايمان به ، ويملك عليك مشاعرك ، بدون أن يمالك ، أو يشعرك أنه يقودك ، وأنت تتبع ساحرا جبارا لا خلاص لك منه .

أما تعريفه للخيال فيحتاج إلى الوقوف عنده مليا .. فإن (إطلاق العنان للتصورات العالية يعين عليه الاستعارات والكنايات ، إذا واتت فى غير تكلف أو استخدمت فى غير إغراق أو تطوح أو شطط ، ولا أحسب ناجى ينكر هذا الفهم للخيال ، ولعله يقصد الاشادة بالمعنى وحرصه عليه خشية أن يضيع فى ثنايا اللفظ ، أو ينوء بما يحمل من استعارات ، ويرهق بما يمزج به من كنايات تخرج بالشعر كله من فيض إحساس إلى صناعة أوزان ..

والذى نخرج به من هذا التعريف صريحه ومضمونه هو أن الشعر يقاس بما فيه من :

تصورات وأخيلة .

ألفاظ نقية صافية تشرق بها المعانى .

صياغة متوائمة مع موضوع القصيد .

موسيقى سابغة .

وحدة تنتظم القصيدة هى الوحدة الشعرية .

صحة فى الأداء ..

شخصية الشاعر .

وعلى ضوء هذا المقياس نمضى نقيس شعر ناجى ونقدره .. بعد أن نضيف إليه عاملا آخر هو (قيمة التجربة الشعرية) .

ولنطبق التجربة الشعرية أولا فهى أحق بالتقديم إذ هى الحافز الذى يثير الشاعر إلى قول الشعر وهى بهذا اللبنة الأولى فى بناء القصيدة ، ويشترط ناجى فى التجربة الشعورية (الصدق والاقتناع القلبى)[١] وتسأله : كيف تصهر التجربة ؟ فيقول لك :

« إن الوعى يتصل بغير الوعى .. ثم يطفو عليهما ضباب ملون مشبع بالذكريات . وهذا الضباب يغطى أجزاء التجربة حيث يجرى تركيبها من جديد .. لا حسبما وجدت فى الطبيعة ، بل حسبما رآها الفنان .. ومن ذلك يتضح لنا لماذا قال سانت بيف « إن الفن مزاج فردى » .. ويتضح كذلك أن النقد يتعين عليه تمييز الأساليب لا تطبيق القواعد .. »[٢] .

هل كان شعر ناجى وليد انفعالات أثارتها فى نفسه دوافع خارجية أثرت فيه ؟ أو عوامل داخلية نتيجة لاستبطانه نفسه ؟ نعم عندى هى الجواب الصحيح ، فقد كان ناجى فى معظم شعره يصدره عن طبع وتأثر ؟ وقد رأينا فى الفصل الأول موجات نفسه فى شعره وكيف كان هذا الشعر صدى لما اعتمل فى تلك النفس من مشاعر ..

عرض الأستاذ مصطفى سويف لرأى تاولس R. H. Thouless فى الابداع الفنى ، وعنده أن (الخطوة الأولى نحو تعليل الابداع الفنى ، سواء أكان إبداع قصيدة أم إبداع صورة أم كان غير ذلك ، هى الكشف عما شهده

---

(١) و (٢) من مقال للدكتور ناجى بعنوان (الفن والحياة)

الشاعر من نقص فى بيئته وكيف دفعه شعوره بهذا النقص إلى تفقد الحل الذى يرضيه ، ويقرر أن الابداع نشاط اجتماعى من بعض نواحيه ، وأن الفنان إنما يريد به أن يوقظ بعض استجابات معينة فيمن يشهد فنه ..[١]

وقد رأينا فى فصل (ناجى الشاعر) و (شعر ناجى) شواهد على هذا التفسير .

ويشايع الأستاذ سويف ، لنجفيلد فى أن الابداع بمعناه الدقيق يقوم على حياة ملؤها مشكلات تثير القلق والاضطراب ...[٢]

وأيضا كانت حياة ناجى ملؤها القلق والاضطراب ... إذن شعر ناجى وليد دوافع صادقة يعترف بها علم النفس الحديث ، فى شعر ناجى تجارب شعرية ... انفعالات ... هزات ... أحاسيس .

ووقف الشاعر ينتظر تحت العاصفة والظلام والبرد ، فأوحى الانتظار اليه هذه الأبيات :

أرى الآباد تغمرنى كبحر سحيق الغور مجهول القرار
ويأتمر الظلام على حتى كأنى هابط أعماق غار
وتصطخب العواصف ساخرات وتطعننى بأطراف الحراب
وتشفق بعد ماتقسو فتمضى لتقرع كل نافذة وباب
فصحت بها إلى أن جف حلقى فحين سكت كلمنى إبائى
وأشعرنى العذاب بعمق جرحى وأعمق منه جرح الكبرياء
ولما لم تفز بلقاك عينى لمحتك آتيا بضمير قلبى
فاسمع وقع أقدام دوان وأنصت مصغيا لحفيف ثوب
وأخال مثلما أهوى خيالا واستدنى الأمانى والحبيبا

---

(١) الأسس النفسية للابداع الفنى ص ١١١ - ١١٢

(٢) الاسس النفسية للإبداع الفنى للأستاذ مصطفى سويف ص ١١١ - ١١٢

وأبدع مثلما أهوى حديثا　لناء صار من قلبي قريبا
أمد يدي في لهف اليه　أشاكيه بمحتبس الدموع
فيسبقني إلى لقياه قلبي　وثوبا ثم يبرد في ضلوعي[١]

هنا قلق وتفزز، وتمن ولهفة ...

وناجي المرهف الحس المتوفز الأعصاب يوحي اليه الانتظار آيات ... وهذه تجربة هي صورة للمنتظر باحلامه وأوهامه :

أغدا قلت ! فعلمني اصطبارا　ليتني أختصر العمر اختصارا
عبرت بي من نشوة من فرح　فرقصنا أنا والقلب سكارى
وعرانا طائف من خبل　فاندفعنا في الأماني نتبارى
سنذم النور حتى يتلاشى　ونذم الليل حتى يتوارى
انفردنا أنا والقلب عشيا　ننسج الآمال والنجوى سويا
فركبنا الوهم نبغي دارها　وطوينا الدهر والعالم طيا
فبلغناها وهللنا لها　ونزلنا الخلد فينانا نديا
ولقينا الحسن غضا والصبا　وتملينا الجلال الأبديا[٢]

وهذه تجربة من صنع المرآة التي نظر اليها ثم حاول التنفيس فكانت هذه الأبيات :

ياويلتا من عمري الباقي　هذا سواد تحت أحداقي
هذا بياض الشيب واعجبي　من مغرب في زي إشراق
ويلي على كأس معربدة　وعلى دم في الكأس مهراق
وعلى سراب خادع وعلى　متألق اللمحات براق

---

(١) الدكتور ناجي . ديوان وراء الغمام ص ١١٥ - ١١٧
(٢) « « « قصيدة الغد ص ٩٧ - ٩٩

طاف الزمان به على نفر مالوا بهامات وأعناق
صرعوا وأنت تظنهم سكروا مات الندامى أيها الساقي[١]

ومن تجارب ناجى الشعرية قصيدة (رسائل محترقة) التى عدها الأستاذ السحرتى من التجارب الوجدانية ذات التعبير المرهف الحساس[٢] ، وهى بلا مراء تجربة شعرية ممتعة مشبعة .. ويغالى بها الأستاذ السحرتى ، قصيدة وجدانية رائعة تتوهج فى ثوب قصصى جذاب ، وانفعال وثاب حساس ، ووحدة قوية ، وموسيقى ارتكازية .. ولا يدع الحديث عنها إلا بعد أن ينظمها فى (مفاخر شعرنا العصرى)[٣] .

كما نوه الأستاذ السحرتى بقصيدة ناجى (قلب راقصة)[٤] وهى عنده (قصيدة عجيبة تمثل تجربتها أمام القارىء حية ناطقة ، فهى تبرز حال المتفرج فى المرقص ، وتكشف عن الراقص ، وتنبثق منها موسيقى مختلفة النغمات متحدة القرار . .)[٥] .

ويغالى ناجى ـ بحق ـ بقيمة التجربة الشعورية ، وإنك حين تقرأ حديثه عنها تحس أنها روح العمل الفنى وجوهره ، وسأسوق إليك الحديث .. (قد يخيل للانسان أن الفن محاكاة للطبيعة ... وبهذا قال أرسطو قديما ... حقا إن الإنسان من بدء حياته ينقل عن الطبيعة لأنه لا يرى شيئا دونها ينقل عنه ... ولكن ذلك غير صحيح ، لأن الصحراء الجرداء لا معنى لها بدون أن يخلع عليها السارى خياله وحداءه ... والجبل الأجدب قاتم مخيف ، لولا ما يخلع عليه الانسان من السمو والتفرد ...

(١) الدكتور ناجى ديوان ليالى القاهرة قصيدة شكوى الزمن ص ٧٥
(٢)و(٣) كتاب (الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث) للاستاذ مصطفى السحرتى ص٢٩
(٤) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام ص ٣٦
(٥) كتاب الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للاستاذ مصطفى السحرتى ص ٤٥

وهذا هو الفرق بين الرسم والفوتوغرافيا والرسم باليد ...

هب أنك أخذت صورة لشحاذ على قارعة الطريق بالفوتوغرافيا ... ثم رسمت هذا الشحاذ على لوحة فنية فان الثانية أوقع بلا جدال ، والسبب فى ذلك أن الفنان يخلع على الصورة تجربته الشعورية الخاصة ويخلع عليها الحماس ويضيف إليها اللهب الذى يضيئها ويجلو جلالها [١] .

الجبال فى شعر ناجى :

قدم الأستاذ دسوقى أباظه لديوان (ليالى القاهرة) فسجل لشاعرنا أنه من أقطاب المدرسة الحديثة التى (تتسم بطابع الجدة والطرافة ، وبالأسلوب الأنيق والعبارة السهلة وهى تحتفل بالفكرة أكثر مما تحتفل باللفظ ، وتعنى بالموسيقى والروتين ، قبل عنايتها بالصياغة والصنعة ...)

ولعل الأستاذ دسوقى شعر بحاجة هذا التعريف إلى مزيد من الإيضاح ، كما شعرت أنا ببعض التناقض بين الأسلوب الأنيق و (قلة الاحتفال باللفظ) وتأخير العناية بالصياغة ! .

أما الإيضاح فقد استعان عليه الأستاذ دسوقى ببسط أبيات لناجى تعين بشواهدها على التفسير وهاهى تى الأبيات :

إن خاننى اليوم فيك قلت غدا   وأين منى ومن لقاك غد
إن غدا هوة لناظرها   تكاد فيها الظنون ترتعد
اطل فى عمقهـــا أسائلها   أفيك أخفى خياله الأبد
يا لامس الجرح ما الذى صنعت   به شفاه رحيمة ويد
ملء ضلوعى لظى وأعجبه   أنى بهذا اللهب أبترد

وهذا هو التفسير : (فالتعبير عن الغد المجهول بالهوة العميقة ، وعن

(١) من مقال للدكتور ناجى (الفن والحياة) فى مجلة الكواكب

اضطراب الشاعر فى أوهام الغــد بالظنون المرتعدة ، مع سهولة القافية واستقرارها ، هو هو نهج المدرسة الحديثة وسنتها المرسومة) .

ثم عرض للهجوم الذى تعرضت له هذه المدرسة وكشف عن البواعث التى دفعت إليه وهى فى رأيه « تتجمع فى نطاق الحرية التى انطلقت بمواهبهم إلى الآفاق الرحيبة ، التى أطلوا منها على الأجواء البعيدة عن المعانى والأخيلة مع خلق بعض الأوزان التى لم يسبق أن نظم غيرهم منها .. » .

ومن أجواء ناجى هذه الصورة التى رسمها خياله للحب المتسامى فى أبياته :

لست أنساك وقد أغريتنى ... بالذرى الشم فأدمنت الطموح
أنت روح فى سمائى وأنا ... لك أعلو فكأنى محض روح
يا لها من قمم كنا بها ... نتلاقى وبسرينا نبوح
نستشف الغيب من أبراجها ... ونرى الناس ظلالا فى السفوح(١)

ومنها خياله فى هذه الصورة لذبلات الوحدة :

والأيامى كالكأس بعد الندامى ... ذكرت حظها من الصهباء(٢)

لهن الله أولئك اللائى يقتتن سالف الذكريات ...

والصور فى شعر ناجى كثيرة ، وهى وإن تفاوتت فى الوسامة والوضوح والألوان والمظاهر إلا أنها فى مجموعها حية نابضة فيها شىء هو قلق حينا ورضا آنا ، وفيها من الألوان قتامة وزهو ، وهى على حاليها تمثل الشاعر فى شتى حالاته .. بل إن منها ما يستوقفك إلى جانبه زمنا قد يطول وقد يقصر ولكنك منجذب إليه ، حان عليه ، مسحر به ...

(١) الدكتور ناجى ديوان (ليالى القاهرة) ص ٥٤ الاطلال
(٢) « « « ص ١٤٤

ويتصل بالخيال « التجسيم » وهو وثيق الصلة بالاستعارة ، غير أن المشبه به فى التجسيم هو الانسان الذى يخلع الفنان صفاته وسماته على الأشياء والأحداث ...

والدكتور ناجى ولوع بهذا اللون من التعبير ، وهو شبق مالم يبتذل ويصنع صنعا يثير غضب رسكين منه حتى ليعده « مغالطة عاطفية »[١] .

وتجسيم ناجى يتمثل فى مثل قوله من ملحمة السراب :

أدركى زورق فقد عبث اليم به والعواصف الهوجاء
والعباب العريض والأفق الموحش واللانهاية الخرساء
أفق لا يحد للعين قد ضاق فأمسى والسجن هذا الفضاء
سهرت ترقب الصباح وعين النجم كلت وما بها إغفاء[٢]

واستهل ناجى قصيدة (الخريف) بهذه الأبيات المجسمة :

يا حبيبى غيمة فى خاطرى وجفونى، وعلى الأفق سحابة
غفر الله لها ما صنعت كلما شاكيتها تندى كآبة
صرخ القفر لها منتحبا وبكى مستعطفا مما أصابه
فأصم الغيث عنه أذنه ما على الايام لو كان أجابه[٣]

وغضب ناجى مرة غضبة مروعة فتخيل الطبيعة بأحداثها تتربص به ، فصرخ فى وجهها :

اعولى يا جراح اسمعى الديان
لا يهم الرياح زورق غضبان

---

(١) راجع كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » للاستاذ السحرتى .
(٢) الدكتور ناجى ديوان (ليالى القاهرة) قصيدة السراب فى الصحراء ص ٩١
(٣) « « « « الخريف ص ٢٠٦

اسخرى يا حياة　　قهقهى يا رعود
الصبا لن أراه　　والهوى لن يعود
اطحنى يا سنين　　مزقى يا حراب
كل برق يبين　　ومضه كذاب[١]

ومن ديوانه ـ وراء الغمام ـ هذا المثال :

تعال ! فلم يعد فى الحى سار　　وهومت المنازل بعد وهن
وران على نوافذها ظلام　　وقد كانت تطل كألف عين

تعال ! فقد رأيت الكون يحنو　　على ويدرك الكرب الملما
ويجلو لى النجوم فأزدريها　　وأغمض لا أريد سواك نجما[٢]

ومن (وراء الغمام) استشهد الأستاذ السحرتى بهذه الابيات من قصيدة العودة :

والبلى ! أبصرته رأى العيان　　ويداه تنسجان العنكبوت
صحت ! ياويحك تبدو فى مكان　　كل شىء فيه حى لا يموت
كل شىء من سرور وحزن　　والليالى من بهيج وشجى
وأنا أسمع أقدام الزمن　　وخطى الوحدة فوق الدرج

ألفاظ ناجى :

وألفاظ ناجى الشاعر الطبيب سهلة حنانة ودود توحى إليك وتهمس فى أذنك ، وتذكرك بأشياء كثيرة ... وهى أصفى ما تكون حين يناجى ناجى

(١) الدكتور ناجى ديوان ليالى القاهرة قصيدة عاصفه روح ص ٦١ - ٦٢
(٢) « « وراء الغمام قصيدة الانتظار ص ١١٤ - ١١٥
(٣) « « « العودة ص ١٧

حبيبه .. هنا يعرف جيدا كيف يختار ألفاظه .. ومن صلاته فى محراب الحب هذا النشيد :

أرى فى عمق خاطرك جلالا يشبه البحرا
وألمح فى نواظرك صفاء الرحمة الكبرى

وأنت رضى وتقبيل وأنت ضنى وحرمان
وفى عينيك تقتيل وفى البسمات غفران

وأنت تهلل الفجر وبسمته على الافق
وحينا أنة النهر وحزن الشمس فى الغسق

وعندك كل ما أظمأ ورد القلب لهفانا
وعندك كل ما أدمى وزاد الجرح إثخانا

وعندك كل ما أحيا وشدد عزمه الواهى
حنانك نضرة الدنيا وقربك نعمة الله[١]

هذه ألفاظ مستديرة ناعمة الملمس كالتفاحة كما تقول أديث سيتول الشاعرة الانجليزية[٢] .

---

(١) ديوان ناجى (وراء الغمام) قصيدة صلاة الحب ص ١١٨ - ١٢١

(٢) تعيب « اديث سيتول » الشاعرة الانجليزية المعاصرة ، على بعض الشعراء المحدثين ضعف شعورهم بالنسيج اللغوى ، وليس الامر مقصورا على ان نسيج البيت الشعرى أو نسيج القصيدة لايدل على شىء فى نظرهم ، بل ان شكل اللفظ ووزنه... قد اصبح كل منهما منسيا . . . فهؤلاء الكتاب لايرون للكلمات ظلا تضفيه ، ولا شعاعا تشعه ، وليست تتفاوت فى طولها وعمقها ، ولا يعرفون ان الكلمة قد تلألأ كما يتلألأ النجم المنعكس على صفحة الماء ، وان اللفظ قد يكون مستديرا ناعم الملمس مجلة الادب والفن ـ ج ٢ السنة ٣ ـ بقلم الانسة بيرل دى زوت . النص منقول عن كتاب الاسس النفسية للابداع الفنى للاستاذ مصطفى سويف ص ٢٨١ .

وقليلا ما تتصلب ألفاظ ناجى وتصطنع الشدة والصرامة كما مر بنا فى قصيدته (عاصفة روح) ... ولكن تعبيره فى الغالب يغرورق رقة وتغلب هذه الرقة عليه حتى فى قصائده الوطنية الحماسية ، كما سيأتى بعد قليل ...

الموسيقى فى شعر ناجى :

أجل ! أهواك أنت منى حياتى   وأنت أحب من بصرى وسمعى
وهل أنساك كلا لست أنسى   هوى قد كان إلهامى ونبعى
لبست من التصبر عنك درعا   فها أنا تنزع الأيام درعى
وها أنا لا أدارى عنك سرا   عرفت محبتى ورأيت دمعى
تلاشت قوتى وغدا فؤادى   كأن خفوقه خلجات نزع
أبشره فيرقص فى ضلوعى   وأنظر سود أيامى فانعى
وقد نضب الخيال وغاض طبعى   ومات على حياض اليأس زرعى
أجرجر وحدتى فى كل حشد   وأحمل غربتى فى كل جمع (١)

أليست هذه الموسيقى السابغة شجية حنانة ؟

وهذه لفتة من لفتاته الشعرية :

هات اسقنى واشرب على سر الأسى   وعلى بقايا مهجتى وشجاها
مهلا نديمى ! كيف ينسى حبها   من ينشد السلوى على ذكراها
مازلت تسقينى لتنسينى الهوى   حتى نسيت فما ذكرت سواها (٢)

وهذا غناه :

وأناديك فى التدانى وما أطمع إلا أن يستجاب النداء
باسمك العذب إنه أجمل الأسماء مهما تعددت أسماء

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة قصيدة بعد الفراق ص ٧١ - ٧٢
(٢) » » » قصيدة يأس بعد كأس ص ٥٩ - ٦٠

لفظة لا تبين تنطلق الأقدار عن قوسها ويرمى القضاء
وهى بين الشفاه ناى وتغريد وطير وروضة غناء
وهى فى الطرس قصة تذكر الأحباب فيها وتحشد الأنباء(١)

وأنغام ناجى عند الأستاذ السحرتى تتميز بالإثارة والانفعال ويمثل لهذا بهذه الفقرة من قصيدة (العودة) :

رفرف القلب بجنبي كالذبيح وأنا أهتف يا قلب اتئد
فيجيب الدمع والماضى الجريح لم عدنا ؟ ليت أنا لم نعد
لم عدنا أو لم نطو الغرام وفرغنا من حنين وألم
ورضينا بسكون وسلام وانتهينا لفراغ كالعدم

وقد لاحظ الأستاذ السحرتى على قصيدة العودة اختلاف فقراتها فى موسيقاها النوعية ، فالأبيات الأربعة السابقة (تختلف فى موسيقاها مع هذه الأبيات التى جاءت مطلعا للقصيدة وهى) :

هذه الكعبة كنا طائفيها والمصلين صباحا ومساء
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها كيف بالله رجعنا غرباء
دار أحلامى وحبي لقيتنا فى جمود مثلما تلقى الجديد
أنكرتنا وهى كانت إن رأتنا يضحك النور إلينا من بعيد

فالأبيات الأولى منفعلة ذات نغم ارتكازى ، والأبيات الثانية هادئة ناعمة منغومة . .

ولناجى غرام فى الخروج عن الوحدة الكلية الموسيقية فى القصيد ، وربما كان توحيد النغم فى القصيد كله خيرا من تجزئته ، وإن كان هذا التنويع لاغبار عليه(٢) .

---

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة قصيدة ملحمة السراب ص ٩١ – ٩٢

(٢) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتى ص ٥٢

والأستاذ الناقد لم يجانب الصواب فيما ذهب اليه ، فان الوحدة الموسيقية عند ناجي غير مطردة فى ديوانه ... فديوانه (وراء الغمام) به ٣٨ قصيدة موحدة القافية والصوت وعشر قصائد مزدوجة القافية وقصيدتان على نظام الرباعيات وأخريان تتغير القافية فيهما كل أربعة أبيات وقصيدة تتغير القافية فيها كل ثلاثة أبيات .

فاذا تناولنا ديوانه الثانى (ليالى القاهرة) ألفينا القافية أكثر اطرادا فى هذا الديوان منها فى الديوان الأول . فالقصائد الموحدة فى (ليالى القاهرة) يرتفع عددها إلى ٦٥ قصيدة بينما المزدوجة ست .. وفى الديوان ثلاث قصائد تتغير القافية فيها كل أربعة أبيات ...

ولما كان ناجي ينظم الشعر بالسليقة فانه يطيب له أحيانا أن يجعل لكل بيتين قافية ، وفى أثناء القصيدة تعثر له على أربعة أبيات من قافية واحدة كما نلاحظ فى قصيدته (لقاء فى الليل)[١] ..

ولعل هذا من أبرز آثار الأدب الغربى فيه إن لم يكن أبرزها فقد قرأ فيه كثيرا ، ووعى عنه كثيرا ، ولكن تجديده فى المعانى والصور لا يتميز مثل هذا التميز الذى يطالعنا لاول وهلة متبديا فى قوافيه وأوزانه ...

ولا عذر لناجي عند أهل المدرسة القديمة من مطولات يدفع سأمها بتنويع ، فهو ينوع حتى فى المقطوعات القصيرة .

والمدرسة الحديثة تدرك هذا جيدا فان الاستاذ دسوقى أباظة عند ماقدم لديوان ناجي (ليالى القاهرة) سجل أن من بواعث الهجوم الذى تعرضت له هذه المدرسة (خلق بعض الأوزان التى لم يسبق أن نظم غيرهم منها ...) وهنا استدل بقصيدة (عاصفة روح) التى استهلها الدكتور ناجي بقوله :

أين شط الرجاء يا عباب الهموم

---

(١) الدكتور ناجي ؛ ديوان ليالى القاهرة ص ٣٥

ليـالى أنواء ونهارى غيوم
أعولى ياجراح أسمى الديان
لايهم الرياح زروق غضبان
اسخرى ياحياة قهقهى يارعود
الصبا لن أراه والهوى لن يعود[١]

« فهذا الوزن لايوجد له نظير فى أوزان البحور المعروفة ، وربما كان اعتماد الشاعر فيه على السماع والايقاع »[٢] .

ومن شعر ناجى الايقاعى ذى المسافة الصوتية القصيرة قصيدته (من ن إلى ع) التى استهلها بقوله :

ياشطر نفسى وغراس الوحيد ماشئت ياليلاى لا ما أريد
يامن رأت حزنى العميق البعيد داويت لى جرحى بجرح جديد[٣]

ونلاحظ أن ناجى فى قصائده الموحدة القافية جياش العاطفة ، كملحمة السراب ، وهى من أروع ما قال وهو فيها مندفع فى قوة ، مسحر تواتيه القوافى والمعانى والالفاظ ، فلا حاجة به إلى التغيير والتوسل بقواف جديدة . . .

ولم ينظم الدكتور ناجى شعرا مرسلا أو شعرا حرا . والشعر المتحرر من القافية بعد هذا يجد من يسمع فى تلاوته موسيقى عذبة ويجد فيه

(١) الدكتور ناجى ديوان ليالى القاهرة ص ٦١ قصيدة عاصفة روح
(٢) هذا رأى الأستاذ دسوقى أباظة أسجله كما هو . .
(٣) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة قصيدة من ن إلى ع ص ١١١

راحة ذهنية [١] .

ويرى بعض النقاد (أنه لامفر للمجددين فى هذا العصر من تطعيم موسيقى الشعر بالانغام المنوعة والتفعيلات الجديدة ولا يكون هذا إلا بهجر القافية الواحدة ، وبخاصة فى القصائد المطولة وفى الشعر التمثيلى . وقد آن لشباب الشعراء فى الشرق أن يتذرعوا بالشجاعة الادبية ويشقوا طريقهم الجديد ، غير حافلين بالموسيقى التقليدية الرتيبة ، ولا حافلين نقدات المحـــافظين والحفريين الذين يعيشون على تراث الموتى ويستقبلون كل جديد بصيحات الغربان) [٢] .

فإذا تجاوزنا النقد الأدبى إلى علم النفس الحديث وجدناه يعتبر الوثبة هى وحدة القصيد .. فالقصيدة (تتألف من وثبات لا من أبيات ، ومن هنا كانت الوثبة هى وحدة القصيدة ، وليس البيت هو الوحدة كما هو الشائع عند النقاد العرب بوجه خاص .. وكذلك كل عملية متكاملة لا بد أن تتألف من عمليات صغرى متكاملة ، وكل بناء متكامل لا بد أن يتألف من أبنية أو أنظمة صغرى متكاملة . .) [٣]

هنا يرتج على المدرسة القديمة ما دام العلم قد قال كلمته فى الموضوع ... وكلمة العلم فصل الخطاب ...

على أنى لا أريد أن أدع هذا العنصر من عناصر تقويم الشعر دون أن

---

(١) اقرأ السحرتى فى كتابه (الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث) ص ١١٩

(٢) » » » » » » ص ١٢٤ — وان كان الاستاذ السحرتى عند عرضه لقصيدة (قلب راقصة) فضل الوحدة الموسيقية المتكاملة على اثر تسجيله للرأى القائل (ان بين القدات وقفات تضيع الوحدة والتماسك العضوى فى القصيد .. (نفس المصدر ص ٤٥) .

(٣) كتاب الاسس النفسية للإبداع الفنى للأستاذ مصطفى سويف ص ٢٧٢

أقرر الحقيقة وهى أن قارىء ناجى يفتقد أحيانا (قليلة) الموسيقى، أى يفتقد أهم عناصر الشعر مثل قوله يستهل قصيدة (الحياة) :

جلست يوما حين حل المساء　　وقد مضى يومى بلا مؤنس
أريح أقداما وهت من عياء　　وأرقب العالم من مجلسى[1]

ومن شعر ناجى الذى يدخل فى باب النثر أو هو نثر مشطر لو جاز هذا التعبير هذه الأبيات من قصيدة (إلى روح الشاعر) التى ألقيت فى حفلة الذكرى للشاعر المرحوم طانيوس عبده (سنة ١٩٢٤) :

قلبى ! ما الذى لديـ　　ـك من الخير يا قلم
قم فذكر وناج قو　　مك واخطب وقل لهم
ذلك الشاعر الذى　　بات فى خاطر الظلم
هو منكم وفنه　　علم الله فنكم
ذلك الشاعر الذى　　روحه الآن بينكم
لكأنى أراه حـ　　ـيا وألقاه عن أمم
غاشيا كل منتدى　　عالى الرأس محترم[2]

....

(١) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام قصيدة الحياة ص ٢٩
(٢) « « « ص ١٦٦

مواءمة الصياغة لموضوع القصيد عند ناجي :

أسلوب ناجي ينبع من موضوعه ويتكيف به ويؤديه فى لدونة مطواع ولكن هذه المواءمة بين الصياغة وموضوع القصيدة تفوته أحيانا فى الرثاء والحماسة .. وقف ناجي يرثى الشاعر المرحوم طانيوس عبده فى حفلة ذكراه

موقف حان فاغتنم ‏ ‏ ‏ ‏ وتخير من الكلم
كل لفظ أرق من ‏ ‏ ‏ ‏ ضحكة الزهر للديم
مستمد من الربى ‏ ‏ ‏ ‏ مستعار من النسم
أجمع الآن طاقة ‏ ‏ ‏ ‏ غضة النور تبتسم
اهدها روح شاعر ‏ ‏ ‏ ‏ خالد بالذى نظم[١]

موقف حان فاغتنم ! ألا يشعرك هذا الاستهلال بأنك سامع عما قليل وصف لقاء كان ينتظره الشاعر طويلا وقد أعد لتحيته الزهر الضاحك والألفاظ الرقيقة . وإلافقل لى أى اغتنام فى الموت وأى فرصة فيه تهتبل ؟

وقد مر بنا كيف فتر فى تأبينه لشوقى مبنى ومعنى حين أجاد رثاءه فى حفل ذكراه ، ويبدو أن المفاجأة لم تترك له وقتا يجود فيه .. فليس فتور تأبينه معناه أن خطب شوقى لم يفدح (ناجى) ... كلا . . إنه عندى الآية على عمق جرحه فيه ، وشدة تأثره بفقده .. ولست هنا أدبج لفظا أو أستملى عاطفة ، فإن الدراسات النفسية تقرر أن الفنان يندفع (نتيجة لالتقاء تجربتين[٢]

---

(١) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام ص ١٦٦

(٢) يصف الأستاذ سويف خطوات الابداع عند الشاعر بهذا المثال : لقد (أتته الآن تجربة متصلة بالانا بعثت عنده آثار تجربة قديمة جرت على الانا ، وقد تبادلت التجربتان التأثر والتأثير واختلط الأمر على الشاعر فكأنه فى دوامة . . ولا يمكن أن يستقر الانا فى مثل هذه الحال ؛ لأن الاستقرار لايتم إلا إذا كانت أجزاء المجال واضحة المعالم

يندفع فى نشاط يهدف إلى خفض التوتر وإعادة الاتزان ، ويكون هذا النشاط منظما بفعل الاطار ، فتكون النتيجة قصيدة . ومن المحقق أن اختلال الاتزان يختلف باختلاف التجارب التى يلقاها الفنان ، بحيث يمكن أن نتحدث عن اختلال سطحى واختلال عميق واختلال بالغ واختلال ضئيل ويبدو أثر ذلك فى صعوبة عودة الاتزان إلى الأنا وتأخر هذه العودة فترة طويلة أحيانا . وعلى هذا الأساس نستطيع أن نعلل كون فيكتور هوجو لم يستطع أن يبدع من معين وفاة إلا بعد مرور عام على هذه الوفاة)[١] .

وعلى هذا الأساس أيضا نستطيع أن نعلل تخلف ناجى فى تأبين شوقى وإجادته رثاءه بعد عام من وفاته ... إن التوتر والاختلال الذى أصابه بوفاة شوقى عميق بالغ ، جعل من الصعب عودة الاتزان إلى الانا ، وتأخر بهذه العودة عاما كاملا ، حتى استطاعت آثاره أن تقترب من الانتظام .

. . . . . .

هذا فى الرثاء أما فى الحماسة فقد استعرضنا معا نداءه للشباب[٢] ، ورأينا أسلوبه فيه موسيقاه هينة لينة رقيقة كشأنها فى سائر قصيده ...

والموسيقى الوطنية مدوية متدافعة مستنفرة عالية ، يترامى صداها إلى بعيد ... وشعر ناجى كما يصفه الدكتور طه حسين (كهذه الموسيقى التى يفسدها الفضاء الطلق وتضيع فى الميادين الواسعة ، وتجود كل الجودة ، وتحسن كل الحسن حين تغلق الأبواب ، وترخى الأستار ، ويخلو النجى إلى النجى ،

واضحة الصلات ، أى أنها هى نفسها فى حالة استقرار ، فاذا لم يتوفر ذلك ظهرت بالانا توترات تدفعه إلى محاولة التوضيح كيما يتحقق الاتزان) .

« كتاب الأسس النفسية للابداع الفنى ص ٢٦٧ »

(١) كتاب الأسس النفسية للابداع الفنى ص ٢٦٨

(٢) ديوان ناجى وراء الغمام ص ١٥٨ - ١٥٩

ويفرغ الصق للصق ، ويتمتع الحبيب بقرب الحبيب)[١] أو كما وصفه فى مكان آخر بأنه (أشبه بما يسميه الفرنجة موسيقى الغرفة)[٢] .

الوحدة الشعرية عند ناجى :

يعرف الأستاذ السحرتى الوحدة الشعرية بأنها (الرباط الذى يضم التجربة ، والصور ، والانفعالات ، والموسيقى والألفاظ فى وشاح خفى أثيرى ، وبهذه الوحدة يتكامل القصيد وتدب فيه الحياة) ...

وتلمح هذه الوحدة ، ابتداء من دوران أبيات القصيد دورانا منطقيا شعريا ، وتنقل هذه الأبيات تنقلا فكريا ، ويتأتى هذا من توفر التجربة الشعرية وعرضها عرضا جميلا ، وصياغتها صياغة محكمة ـ صياغة لا هى بالطويلة المجرجرة ، ولا بالقصيرة الكاشفة ...

وتقوم كذلك الوحدة على اتجاه الصور الخيالية بالقصيد اتجـاها موحدا [٣] ، ومما يزيد الوحدة حركة وتماسكا ، حدة الانفعال الشعرى وجمال الموسيقى [٤] .

(ولا يقف هيكل الوحدة الأثيرى عند التسلسل المنطقى ، ولا الصور الحية ولا الموسيقى المتوائمة مع معانى القصيد ، بل أن للالفاظ وتموجاتها وتوافقها وحرية نظامها دخلا كبيرا فى تكوين هذا الهيكل . ونقصد بنظام الألفاظ الحر عدم التقيد بالأسلوب النحوى الجامد فى تركيب العبارة) [٥] .

---

(١) و (٢) كتاب « حديث الأربعاء » للدكتور طه حسين ج ٣ ص ١٥٢
(٣) كتاب (الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث) للأستاذ السحرتى ص ٨٢
(٤) نفس المصدر ص ٨٤
(٥) « « ص ٨٥

لقد مرّبنا من شعر ناجي الكثير ... وهو ـ ماعدا أمثلة فردية سنتناولها عند مناقشة « صحة الأداء » ـ زاخر بالتجارب الشعرية والصور الملونة ، والانفعالات الهازة ، والموسيقى الحنون ، والألفاظ الموحية العذبة وإن لم يبلغ فى ألفاظه مبلغ شعراء لبنان المولعين بالنحت اللفظى والاطراف .. كل هذا فى صياغة مشبعة ممتعة متسلسلة ، فى غير فضول أو قصور ... ولا أريد أن أضرب أمثلة جديدة تؤيد ماذهبت اليه ، فليرجع إلى ديوانه من يشاء . . .

أما الوحدة بمعنى اطراد القافية فى القصيدة كلها فلم يتقيد ناجى بها ، فقد زاوج وأربع متحررا من القافية عامدا فى رأيى تمثلا بشعراء الغرب المحدثين الذين لايلتزمون الوحدة الشعرية عن فكرة ... فهى عندهم تمسك بما لايلزم لمجرد التقليد ... ويبدو أن (ناجى) كان من أنصار هؤلاء ...

صحة الأداء :

وصف الأستاذ دسوقى أباظة (ناجى) فى مقدمة ديوان (ليالى القاهرة) بأنه (شاعر لايكتب إلامايتحرك له حسه ، ويفيض به خاطره ، فالشعر عنده عاطفة نارية ، تتشكل فى الأسلوب الذى يلائمها ، والقالب الذى يتساوق معها ... ومن هنا أخذ بعضهم على الدكتور ناجى ، أنه ينحرف فى أسلوبه عن جادة الأسلوب العربى الصحيح ، من حيث إحلال الألفاظ فى غير معانيها ...)

ولعل الأستاذ دسوقى كان يلمح الدكتور طه حسين الذى نصح الشاعر (ناجى) فى نقده ديوان (وراء الغمام [1]) بأن يعنى بلغته وكرر له النصح .

وهذا المأخذ فى رأى الأستاذ دسوقى مأخذ مردود (فاللفظ الواحد

---

(١) حديث الأربعاء للدكتور طه حسين ج ٣

عند الشاعر ، يدور على أكثر من معنى ... والشاعر مسوق بعاطفته نحو موضوعه ، وهى التى تلون أساليبه ، ولها من قوتها الجارفة ماتستطيع به أن تسم الألفاظ بأبعد معانيها ... ولغة الشعر ، غير لغة القاموس ، والشاعر يتأثر وينفعل ، ثم يعمد إلى تصوير مرئياته فى حرية لاتتاح لغيره ، لأنه ينقل عن ذات نفسه مايتخلق فيها من معان مجنحة ، بعيدة على حد تصوير الشعر ، فيختار لها ألفاظا لايقرها القاموس ، ولا يستسيغها قلم الكاتب ، وذلك هو مفترق الطريق بين الشاعر الذى يستشرف إلى الآفاق الجديدة ، وبين الشاعر الذى لايجرى إلا فى غبار القدامى) .

احسب أن المعانى المجنحة البعيدة على حد تصوير الشعر ، والاستشراف إلى الآفاق الجديدة لاتقر هذا التشبيه :

وإذا النور نذير طالع   وإذا الفجر مطل كالحريق
وإذا الدنيا كما نعرفها   وإذا الأحباب كل فى طريق[١]

إن تشبيه الفجر الندى الالاق بالحريق غير موفق ، ولو أن عذره ماثل فى أن الفجر هذا نم عليه ففزع ، وانتزع منه رفيقه فأسف ...

ومما وقع فيه ناجى هذا التشبيه غير الموفق للحب :

ياغراما كان منى فى دمى   قدرا كالموت أو فى طعمه
قد قضينا ساعة فى عرسه   وقضينا العمر فى مأتمه
ما انتزاعى دمعة من عينه   واغتصابى بسمة من فمه
ليت شعرى أين منه مهربى   أين يمضى هارب من دمه[٢]

على أن هذا التشبيه لم يمنع الأستاذ دسوقى أباظة من الاستشهاد بالمقطوعة

(١) الدكتور ناجى ، ديوان وراء الغمام . الوداع ص ٥٦
(٢) الدكتور ناجى ، ديوان (ليالى القاهرة) الأطلال ص ٤١

على أن الشاعر بلغ القمة فى ملحمة الأطلال .. وملحمة الأطلال من أروع ماقال .. ولكن أولى بالتمثيل عندى هذه المقطوعة الرقيقة الحنانة :

لست أنساك وقد أغريتنى بفم عذب المناداة رقيق
ويد تمتد نحوى كيد من خلال الموج مدت لغريق
آه ياقبلة أقدامى إذا شكت الأقدام أشواك الطريق
وبريقا يظمأ السارى له أين فى عينيك ذياك البريق[١]

أحسب أن ليس فى الدنيا أبر وأحنى من اليد المنقذة يلمحها الغريق أشفى على الهلاك تمتد إليه من خلال الموج ... إنها الحياة بعد الموت ... إنها الأمل فى قتام اليأس ... إنها الروح الذاهبة تعود ...

ومن تناقض ناجى قوله :

فصرا الأفق قتام وبدت سحب تحبو إلى وجه القمر
كلما تقرب تمتد له كأكف شرهات تنتظر[٢]

إن الأكف الشرهة لا تنتظر بل تتعجل وتلتهم ، ولكن لعل الشاعر أراد بالانتظار التربص .

ومن أمثلة إحلال الألفاظ فى غير معانيها عند ناجى قوله فى إهداء ديوانه (وراء الغمام) : « فتقبل طاقة بالدم والدمع ندية » .

لعل الشاعر أراد (روية) فلم يسعفه اللفظ فى حينه ، لأن الندى الرقيق المتلألىء لا يشبه به الدم وإن دنا من الدمع الحنان شكلا ومعنى ..

قد يتجاوز الناقد عن هنة كهذه لشاعر آخر ولكنها تلفتة من ناجى الرقيق القائل :

---

(١) ديوان ناجى (ليالى القاهرة) قصيدة الأطلال ص ٤١
(٢) « « « أحلام سوداء ص ١٧٨

لك حسن نوار الخميلة طل صبحا فابتسم
لك نضرة الفجر الجميل على الذوائب والقمم
لك كل ما أوفى على قدر النهاية واستتم
فبأى قلب أتقى وبأى حصن أعتصم [١]

وناجى شاعر القوافى المتعددة يفلت منه المعنى أحيانا فلا يمسك به إلا فى المقطوعة الثانية ، كقوله من قصيدة « لقاء فى الليل » :

عوذتها من شر أمسية تعيا بها وتضل أبصار
وكواكب ليست بمجدية ظلم مكدسة وأحجار [٢]

هنا يستبهم المعنى فلا يتجلى إلا فى البيت الذى يليه ، ولكنه لا يتفق معه فى قافيته إذ هو من مقطوعة أخرى بقافية جديدة ..

عثرت بها فرفعتها بيدى جسما يكاد يشف فى الظلم [٣]

وحينا يتعثر لفظ الشاعر فى الأداء مثل قوله :

ياحياة اليائس المنفرد يا يبابا ما به من أحد [٤]

ألست ترى معى أن تجاور اليائين ثقيل على اللسان ؟ وحينا تتنافر ألفاظه فى مثل بيته :

وسمعنا صرخة فى رعدها سوط جلاد وتعذيب إله [٥]

(١) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام . ليالى الارق ص ٧٦
(٢) الدكتور ناجى ـ ديوان (ليالى القاهرة) قصيدة لقاء فى الليل ص ٣٦
(٣) المصدر السابق ص ٣٧
(٤) المصدر السابق ص ٤٣ ـ قصيدة الاطلال
(٥) المصدر السابق ص ٤٥ ـ قصيدة الاطلال

ماوقع هذا البيت فى حسك ... إنى أحس به تنافرا ... أين الجلاد من الاله ؟ على أن الله لايحب أن ينسب اليه التعذيب بدليل قوله « وأنا لاندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا » فبناء الفعل للمجهول فى الشر له دلالة لاتغيب عن فطنة ناجى ... ولكنه سها .

وفى شعر ناجى هذا البيت :

تعالوا نشيد ملجأ رب ملجإ   يضم حطام البؤس والأوجه الصفرا (١)

وفى شعره :

هيا أجل هيا إلى أينا   لحيث نحكى حلم روحينا (٢)

لحيث .. هل هى ضرورة شعرية استوجبت (اللام) بدلا من (إلى) .

ويروق لناجى أحيانا وشى البديع ، فيجانس كقوله :

ابن ؟ وإلا أغن قلبى الممزق وارحم (٣)

ويطابق كقوله :

ترامت كاشامت وشاء لها الهوى   تميل على خد وتصدف عن خد
وتلك الكروم الدانيات لقاطف   بياض الأمانى من عناقيدها الربد
فيالك عندى من ظلام محبب   تألق فيه الفرق كالزمن الرغد
ألا كل حسن فى البرية خادم   لسلطانة العينين والجيد والقد
وكل جمال فى الوجود حياله   به ذلة الشاكى ومرحمة العبد (٤)

إذا كان فى لحظيك سيف ومصرع   فمنك الذى يحيى ومنك الذى يردى
إذا جردا لم يفتكا عن تعمد   وإن أغمدا فالفتك أروع فى الغمد

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ـ قصيدة مصر ص ١٧٩
(٢) « « « « من ن إلى ع ص ١١٢
(٣) « « « وراء الغمام ص ٥٨ ـ الزائر
(٤) « « ليالى القاهرة ـ قصيدة فى الظلام ص ١٨

فإنى إذا جن الظلام وعادنى   هواك فابديت الذى لم أكن أبدى[١]

ومن التدبيج قوله :

وهذى المنايا الحمر ترقص فى دمى   وهذى المنايا البيض تختال فى فودى[٢]

ولو أننا لا نوافق أصحاب البديع فى أن التدبيج مجرد حلية لفظية .. فان إيحاء الألوان له من التأثير الفنى ما يجعلنا نضعه فى مصاف صور التعبير الفنية . والفنان الذى يدرك ما للألوان من أثر ينفذ إلى آفاق فسيحة من رهافة الحس وانسجام الصور ، وتآلفها ...

إن أبا تمام حين قال :

تردى ثياب الموت حمرا فما دجا   لها الليل إلا وهى من سندس خضر

لم يقل حبيب هذا البيت عبثا .. هو يعرف أن القرآن وصف ثياب أهل الجنة بالخضرة ، فاللون الأخضر إذن له تأثير خاص على نفوسنا .

والفن تعبير عن المعانى بأشياء .. والانسان قبل أن يستعمل اللغة أبان عن وقع الأشياء فى نفسه بأشياء ، فأحيانا يعبر بحركات عضوية أو حركات صوتية أى بمهمات ، ثم أبان بالكلمات . فالابانة بالأشياء هى الابانة الأولى وهى المستمرة . . والتدبيج بيان بالألوان والاضواء ، فهو فنية قوية فى باب البلاغة . . .

وفى بعض شعر ناجى شية من التقليد لمن سبقوه تلمحه فى مثل بيته :

انظرى ضحكى ورقصى فرحا   وأنا أحمل قلبا ذبحا[٣]

إنه يلمح البيت المشهور :

(١) ديوان الدكتور ناجى ليالى القاهرة ـ قصيدة فى الظلام ص ٢٣

(٢) نفس المصدر ص ٢٢

(٣) ديوان ناجى ليالى القاهرة ص ٤٣ ـ قصيدة الاطلال

لا تحسبوا أن رقصى بينكم طربا   فالطير يرقص مذبوحا من الألم

ويقول ناجى :

شجن على شجن وحرقة نار   من مسعدى فى ساعة التذكار(١)

كما قال المتنبي :

أرق على أرق ومثلى يأرق   وجوى يزيد وعبرة تترقرق

ويبدو أن ناجى شديد الإعجاب بهذا البيت فهو يقول على مثاله أيضا :

سهد على سهد وذكـ   ـرى فوق ذكرى تزدحم(٢)

ويبدو أنه يؤيد رأى شوقى فى مولد الحب .. فكما يقول شوقى :

نظرة فابتسامة فسلام   فكلام فموعد فلقاء

ففراق يكون فيه دواء   أوفراق يكون منه الداء

يقول ناجى :

صدفة ثم وقفة فاتفاق   فاستباق فموعد فلقاء

فقليل من السعادة لا يكمل فيـ   ـه ولا يطول الهناء

فحنين فلوعة فاحتراق   فجحيم وقوده الشهداء(٣)

ومن شعر ناجى :

عندك قد حط رحال المنى   وفى حمى حسنك ألقى عصاه(٤)

فأسلوب (ألقى عصاه) تعبير تقليدى قديم يبدو أنه راق المدرسة الحديثة المجددة ولكنها على كل حال شواهد قليلة فى شعره لا تكفى للحكم ، عليه وهى

(١) ديوان ناجى (وراء الغمام) قصيدة ساعة التذكار ص ١٧٢
(٢) « « « ليالى الأرق ص ٧٤
(٣) « ليالى القاهرة « ملحمة السراب ص ٩٢
(٤) « « « أنوار ص ٢٥

المآخذ التى قلما ينجو منها شاعر محتم عليه أن يدرس شعر من سبقوه . والدارس لشيء متأثر لا محالة به ...

... قد يبدو هذا الأثر صريحا وقد يتوارى حتى يكاد يختفى ولكنه موجود. فان الأستاذ مصطفى سويف يقرر أن عملية الابداع بوجهها الاطار[١] ، وإن نفى قضاء توجيه الاطار على جوهر الابداع من حيث أنه الخلق على غير مثال ...

إن عنصر الخلق مضمون إذ تتكفل به الشخصية التى تتهيأ من مركبات كثيرة لا يمكن أن تتشابه فى شخصين ، وهذه المميزات الخاصة بكل فرد هى التى تكيف الخلق فى العبقرى أو الفنان .

يقول الدكتور مراد « ليس الإلهام شيئا خارجيا يتلقاه المبتدع كما يتلق الهبة ، فإن ما ألهم به الشاعر كولربدج هو خلاف ما ألهم به نيوتن عند ما رأى التفاحة تسقط على الأرض . فالإلهام يصدر عن الشخص ، ولا بد له من تهيئة التربة التى سينبت فيها ، فإن أرباب الفن الذين يحدثوننا عن إلهاماتهم الخاطفة ينسون عادة أن يذكروا لنا أبحاثهم السابقة ومحاولاتهم العديدة ، وكل ما قاموا به من القراءات والمشاهدات والتأملات التى تدور حول المشكلة التى تشغل ذهنهم . وربما يتناسون الإشارة إلى هذه المحاولات الشاقة لكى يرفعوا من قدرهم . وحرصا منهم على ألا يطلعوا العامة على الوسائل المتواضعة التى يلجأون إليها فى إخراج المعانى والأفكار فى زيها النهائى »[٢] .

على أن (ناجى) كان يحمل أطرا عدة فى وقت واحد ، لقد كان فى ثقافته يستقى من موارد متعددة ، ويرى مناهل مختلفة .. ومع هذا ، بل ولهذا تتميز

(١) كتاب الأسس النفسية للابداع الفنى للاستاذ مصطفى سويف ص ١٦٢

(٢) كتاب مبادىء علم النفس العام للدكتور يوسف مراد ص ٢٤٤ .. النص منقول عن كتاب « الاسس الفنية للابداع الفنى » للاستاذ مصطفى سويف ص ١٦١

شخصيته التى تطالعك فى كل قصيدة إن لم يكن فى كل بيت من قصيدة .

... ولنتكلم عن شخصية ناجى الشاعر ..

شخصية الشاعر :

كان (ناجى) سريع الانفعال ، كثير الأوهام ، قلق الظنون ، طاغى الحس ، رفاف النفس ، هفاف المشاعر . وكلها عوامل تظهر أثرها فى صاحبها فى حديثه ، فى أسلوبه ، فى قسمات وجهه ، فى كل ما يصدر عنه .. وكذلك كان شأنها مع ناجى ، كان لها انطباعات فى أسلوبه فتركته متوثبا نابضا بالحركة حتى ليعديك فنهتز باهتزازه .

وصورة ناجى تطالعك فى كل بيت من شعره وروحه تطل عليك فى كل قصيدة من قصائده حتى شعره الذى يجوز عليه النقد يمثل شخصيته أيضا ، فهو حين يقول:

آه من ساعة بث وشجون ولقاء لم يكن لى فى حساب(١)

فالبيت من الناحية الفنية بيت عابر من ذلك النوع الذى كان يطلق عليه المغفور له حافظ إبراهيم (شعر السلام عليكم) السلام عليكم التى يقولها كل الناس دون ان تدل على مقدرة خاصة ، أو كفاية بعينها . وألفاظ البيت بعد هذا ألفاظ بليت من استعمالنا لها فى حديثنا اليومى .. (لم يكن لى فى حساب) هذه الجملة التى نرددها كثيرا هى تقريبا شطر بيت ناجى ، ومع هذا كله يدل البيت ببساطته الطبيعية وتحلله من الرصانة التقليدية وإفضائه السريع الصريح ، يدل البيت بهذا كله على ناجى البسيط الواضح السهل الطبيعة ...

يقول الأستاذ دسوقى أباظه ، وهو يقدم ديوان (ليالى القاهرة) :

---

(١) الدكتور ناجى ، ديوان (وراء الغمام) ص ١١ - ساعة لقاء

وهناك ظاهرة تسيطر على هذا الشعر من ألفه إلى يائه ، تلك هى أنك لا تستطيع أن تلمح فيه ظلا لشاعر غير الدكتور ناجى ، فهو فيه بذاتيته وطابعه وطريقة تفكيره وألوان عاطفته ، ونوازع شعوره ، لا فى شعر الحب فحسب ، بل أيضا فى المناسبات والمداعبات ...

. . .

ليست هذه مجاملة صديق ، ولكنها كلمة الحق التى قالها دسوقى أباظه بالأمس وأقولها مع الكثيرين اليوم ، وسوف يقولها غدا كل منصف طيب النفس بنسبة الفضل إلى ذويه . .

وهنا نكون قد فرغنا من تحليل ونقد شعر ناجى ... ولكن هناك صفات أخرى لم يستوعبها التحليل ، وهو من حقه أن نسجلها له ومنها الحوار فهو لا يحب المنصة ليلقى عليك منها ما لم يتوصل اليه علمك ولكنه يسر اليك ويشاكيك ويقص عليك ويحاورك تارة ويحاور قلبه أخرى :

لم عدنا ؟ أو لم نطو الغرام   وفرغنا من حنين وألم
ورضينا بسكون وسلام   وانتهينا لفراغ كالعدم[١]

ويسترسل :

أيها الوكر إذا طار الأليف   لا يرى الآخر معنى للسماء
ويرى الأيام صفرا كالخريف   نائحات كرياح الصحراء[٢]

ومن قصيدته (ساعة لقاء) :

كيف يغنى ما كتبناه بنار   وخططناه بسهد ودموع
يشهد الليل عليه والنهار   والشهيد المتوارى فى الضلوع[٣]

(١) و (٢) ديوان الدكتور ناجى ، وراء الغمام . العودة ص ١٨
(٣) « « ساعة لقاء ص ١٣

كناية لطيفة هى إحدى طرائف ناجى فى فنه ...

ويحاور حبيبه فى شاعرية توهم بالذم ، وهى تمدح أغلى المدح وأزكاه :

أغر حسنك أن الخلد جدوله ... وأنه من غريب السحر منبعه
هيهات يخلد حسن لا يؤلهه ... شعر من النسق الأعلى ويرفعه
كم بت منتبها أصغى لخطوته ... أراه فى الوهم أحيانا وأسمعه
كأنك النسم النشوان منطلقا ... أظل كالنفس الحيران أتبعه

وشعر ناجى كثير الهمس .. حتى فى وحدة الشاعر :

ياوحدتى جئت كى أنسى وها أنذا ... ما زلت أسمع أصداء وأصواتا
مهما تصاممت عنها فهى هاتفة ... يا أيها الهارب المسكين هيهاتا
جرت على الأمانى من مجاهلها ... وجمعت ذكرا قد كن أشتاتا
ما أسخف الوحدة الكبرى وأضيعها ... إذا الهواتف قد أرجعن ما فاتا(١)

وشعره متوثب دائما لا يقر له قرار ولو ريع بالموت :

عجبا لقلب هيض منك جناحه ... وجرى به نصل الندامة يذبح
ومضى الحمام يدب فيه فان جرت ... ذكراك طار اليك وهو يجنح
لهفى على الناقوس بين جوانحى ... وعلى بقية هيكل لا تصلح
لا فرق بين أنينه ورنينـــه ... وصداه فى وادى المنية أوضح(٢)

وفى شعر ناجى إذا رضى خفة وانطلاق . ألا تحس رفرفته وهو يقول :

من أنت ؟ لا أدرى ولا من أنا ... فيا إله الحب ماذا اسمنا
إنا حبيبان وذا حبنا ... إنا وليدان وهـــذا وليد(٣)

. . . .

(١) ديوان الدكتور ناجى . وراء الغمام . قصيدة أصوات الوحدة ص ١٨٨
(٢) » » » الختام ص ١٩٠
(٣) ديوان الدكتور ناجى ، (ليالى القاهرة) ـ قصيدة من ن إلى ع ص ١١٣

ويتصل بهذا الفصل طريقة ناجى فى صوغ شعره فقـــد كان يسح بالشعر ، فهو يفيض به بينه وبين نفسه فى مجلسه وفى المنتدى وفى خلوته وبين الجلوس ... وكان إذا مطل عليه منه هاطل هم بتسجيله لساعته ... على أى شيء يقع له . . وريقة . . بطاقة . . وبين يدى الآن بطاقة تحمل اسمه وتحمل فى الوقت نفسه شعره طولا وعرضا فلم يترك بها فراغا غير منغوم حتى لتخال اسمه ـ المطبوع فى وسط هذا الزحام من شعره المخطوط ـ معنى من المعانى رف على البطاقة مع سرب الأشعار ..

وعندما عرض الأستاذ مصطفى سويف لقصائد بعض الشعراء بالتحليل كتب عن هذه الظاهرة أنها تدل (على حقيقة هامة ، مؤداها أن الشاعر كان يعانى من ضغط شديد فى نفسه ، وأنه كتب هذا الجزء تحت وطأة هذا الضغط .. لم يكتبه على ورقة تدل على استعداد المكان الذى كان يكتب فيه ولا استعداده هو نفسه للكتابة ذلك الاستعداد الذى يقوم على نوع من التنظيم والاعداد من قبل ..)[١] .

كما كتب فى موضع آخر مفسرا ما يقوله بعض الشعراء فى استخباراتهم ومذكراتهم من أنهم يواجهون فى لحظات الابداع مشكلة المسارعة إلى كتابة ما يشرق فى أذهانهم ولا يكادون يتابعونه[٢] ... وهنا استشهد بقول ساشفرل سيتول « تلك هى المباهج التى لا تطرأ على الكاتب فى حياته الأدبية إلا نادرات ، عندما تتوالى على ذهنه الصور العقلية ، كما كانت تتولد من سن القلم وهو يكتب ، بل إن القلم فى بعض الأحيان يكون أبطأ من أن يلاحقها تسجيلا ... »[٣] .

---

(١) كتاب (الاسس النفسية للإبداع الفنى) للأستاذ مصطفى سويف ص ٢٤٢

(٢) نفس المصدر ص ٢٤٧

(٣) نفس المصدر ص ٢٤٧

وبين يدى من مخلفاته صفحة (مسودة) فى صدرها عنوان (عامان) وهو يدل على وضوح الغرض من القصيـــد فى ذهنه . وبعد العنوان هذان البيتان :

عام مضى وأخوه فى الأثر مرا كمثل اللمح بالبصر !
يتهاديان بمسبح العمر كالزورقين بليلة السمر !

ثم يلى هذا خط فاصل بينهما وبين ما يليهما . فهما يمثلان وثبة متكاملة ، ولفظة يتهاديان كانت أصلها (يتهادين) ، ويبدو أن عقله فى فورة العاطفة نبهه إلى النحو ، فكتب فوق (ين) من يتهادين (يان) لتصير يتهاديان .

ثم يلى هذا بيتان آخران أولهما ناقص ، أو كما يقول الأستاذ سويف (فى طور التجريب) . أما الثانى فمكتمل :

أبصرتها فى صفحة الماء ...
مسحت أساى وأبرأت دائى رؤيا الحقيقة غير شوهاء

ثم خط فاصل ...

ويلى هذا بيتان ، أما أولهما فهو :

أدركتها فكرا وتحليقا شارفتها حلما وتحقيقا

أما الثانى فقد استهله بقوله :

أدركتها مندفعا ، بالآلية اقفطية ... ثم أدركته تهويمة شعرية فرسم البيت على هذه الصورة :

أدركتها وغنمتها عطرا وموسيقى !

ثم يلى هذا خط فاصل يعقبه هذا البيت :

عينى وعينك حينما التقتا روحى وروحك حينما صفتا

وفى المسودة (حينما صفتا) فى الشطر الأول ثم شطب لفظة صفتا وكتب فوقها (التقتا) . . .

أرأيت ألفاظه وهي متواكبة ، بل إنها في سباق تتدافع فيسبق لفظ القافية لفظ المصراع الأول ؟

وفي الورقة غير هذا ألفاظ متناثرة ، ولكنها متبلورة تبشر بمعان أكبر تلوح في أفق الشاعر ولكنها لم تظهر بتمامها مثل :

وتزاحمي في حيك النسم :

وغربي الأضواء

وغربي الأنظار تلتهب

وخصمي ! تلتهب !

ويؤيد حالة الغموض الشطب والتغيير البادي في لفظي عليك ، وتزاحمي الأضواء ، فأبدلت (في حيك) بالأضواء .

لقد كان ناجي شاعراً موعوداً ، تخايله أطياف المعاني فيختلج ويختلج القلم في يده معه ، وتباكرها صورها فيرف رفيف الخزامي بات كل يجودها …

وبعد : فهذا تسجيل وتحليل لفن ناجي الشعري ، هو على توسعه لم يحط بكل مايمكن أن يقال في شعر الشاعر ، ولكنه خطوط كبيرة حاولت قدر المستطاع أن تظهر محامده دون أن تغفل في هذا الشعر هنات قلما يسلم منها إنسان فنان ، إذا استثنينا الذين لايعملون .. فهؤلاء السادة وحدهم هم الذين لايخطئون ..

الفنان في ناجي الشاعر

لعل الكتابة عن الفنان ناجي الشاعر أسهل الموضوعات على الكاتب لأنه هنا يستقي من معين ثر الجوانب .. ففي ناجي من الفنان غزارة الشعور والصدق ، وتجنح الخيال ورهافة الحس ، وهي مقومات الخلق في العمل الفني ..

وفي ناجي من الفنان حبه للخير وهيامه بالجمال .. الجمال في الطبيعة ، والجمال في الانسان .. وفيه من الفنان عطفه على القبح واستقطاره للجمال من ينابيع خفية فيه ..

وفي ناجي من الفنان عبادته للفن ومغالاته به وإعزازه له .. وفيه منه تواضعه وإسرافه وطربه للنكتة وابتداعه لها وحبه للحياة .. وأخيرا فيه من الفنان الأصيل شخصيته ذات الطابع الغلاب الذي يترك أثره في فنه وفي متذوقه معا .

أما غزارة الشعور والصدق فيه فيتجلى في غنائه الذي لا يمل بالعاطفة .. العاطفة بمعناها الواسع الذي يتصل بالحياة والأحياء .. وقد كان ناجي فنانا أصيلا يستوحي قلبه ويستلهم عاطفته ويفهم الشعر على أنه عاطفة لا أكثر ، ويأسى (لأن في مصر مدرسة جليلة الأثر يقودها زعماء لهم خطرهم يقولون بعكس ذلك) ويقص في هذا الصدد قصة بييرميل الذي (ذهب ليزور اناتول فرانس فوجده قد وضع كتابا على ركبتيه وظهرت عليه هيئة الطفل المذنب النادم ، فسأله : ماذا بك يا أستاذ ؟ فأجاب هذا كتاب بيير لوتي عنوانه (الصحراء) كله وصف للرمل والضوء ، والضوء والرمل . ليس به فكرة واحدة ، ومع ذلك فهو آية من آيات الأدب الخالدة ، إني حزين لأني أضعت

حياتى أعتقد أن الأدب يجب أن يعتمد على الأفكار أولا ، فالآن يتضح لى عكس ما كنت أعتقد ..)[١]

ولعل مما يرضي الشاعر هنا ما وصفه به إبراهيم المصرى حين قال عنه ، (وهو لا يفكر أولا ثم يحس . بل يحس بجميع حواسه وأعصابه ثم يرسم ويحلل ويتغنى ، ومن خلال أغانيه تلمح فكره كعنصر مكمل لعاطفته منطلق من صميم وجدانه ..

وإذن فعاطفته لا تنحدر من فكره كمعظم شعراء هذا العصر المثقفين ، بل هو فكره الذى ينبع من عاطفته ، لأنه شاعر قبل كل شىء ، بالعاطفة يعيش ، ومن العاطفة يستلهم ، وفى سبيل الاحساس بالعاطفة وتصويرها يضرب فى مناكب القاهرة ليلا ، ويغشى أنديتها وملاهيها ويفرح ويهلل ويضحك ويبكى !)[٢] .

فإن هذا بعينه يتساوق مع رأى شاعرنا فى الفنان ويلتقى .

ويضرب ناجى مثالا آخر فى العمل الفنى يدل على أن الفنان يجب أن يفكر بالقلب فيسوق تعريف الشاعر عن الشاعر دنسانای :

(رجل يرى جلال العالم فى لمحة واحدة ، ويرى الجمال فى كل نواحيه ، ويطعنه القبح كخنجر . يأبى أن يرى الظلم يقع على الآخرين كأنه يقع على نفسه ، رجل يعرف العالم بأجمعه كما يعرف الآخرون الفرد بالتفصيل ويعرف الزهور كعلماء النبات ، رجل يظن مجنونا ، بينما هو فى الحقيقة رجل يسمع صوت الله من حين لحين)[٣] .

وآية الصدق فى شعر ناجى أنه كان فى جملته من نفسه وإليها ، فقد غنى

---

(١) من مقال للدكتور ناجى (معنى الشعر) فى مجلة الفن

(٢) كتاب (صوت الجيل) للاستاذ ابراهيم المصرى ص ١٤٠

(٣) من مقال للدكتور ناجى (معنى الشعر)

عواطفه هو ، وبكى آلامه هو ، والفن أصدق ما يكون إذا ما حكى عن النفس بالسليقة دون تعمل من الفنان ..

وفى شعر ناجى غير عواطفه وآلامه تماس واع للحياة والأحياء ، وهو فى انفعالاته صادق يعبر عما يحسه وبتصور مايراه ، فإن خالف الواقع المادى فى هذه الصورة أو تلك من صوره الشعرية فذلك من إملاء عاطفته عليه ، عاطفته هى التى تكيف إحساساته وتلون مرائيه .. يقول رودان (إننى لا أغير الطبيعة أبدا .. إننى أرصدها كما أراها ، وإذا كان يبدو للبعض أنى غيرتها فذلك يكون قد تم فى لحظة لم أدرك فيها أنى أغيرها فعلا .. وبعبارة أشد وضوحا إن العاطفة تؤثر فى وجهة نظرى ، هى التى تغير الطبيعة كما تبدو لسائر القوم ، لأن عاطفتك تكشف لك الحقائق الباطنية الكامنة وراء المظاهر . ولكن يبقى بعد ذلك المبدأ الرئيسى للفن ، وهو أن تنسخ ماتشهد وأى منهج آخر مآله إلى الفشل حتما .. وليس على الفنان أن يجمل الطبيعة فإنه لن ينشىء عملا فنيا .. لأنه ينظر Regarde دون أن يرى Voir)[1] .

وهكذا كان ناجى يرى وينفعل ، ويعبر عما رآه ، ويسجل انفعاله به فى بساطة الفن الأصيل الذى ينبع من نفس سهلة وفطرة سمحة مواتية ..

وخيال ناجى المجنح دليله تلك الصور الكثيرة المعروضة فى ديوانه .. ويتصل بغزارة الشعور رهافة الحس ، وناجى شاعر مرفرف كأنه يهفو بجناحين ..

وشاعرنا كبير النفس واسع المروءة .. كم آسى من جراح وكم بذل من معروف .. لم ترض برحمته بالطب لمرضاه فحسب ، بل تكفلت بتقديم الدواء للعاجز ، وكان يعود الفقراء منهم فى بيوتهم متطوعا .. لقد كان رجلا ، وكان نبيلا وكان عطوفا رحيما .

---

(١) النص منقول عن كتاب الأسس النفسية للابداع الفنى للاستاذ سويف ص ٢٧٧

وعندما استأثرت رحمة الله بالطبيب الآسي غلب على رثاء الراثين حديث رحمته حتى كادت تنتظم منها ملحمة رفيعة ، فشعره حنان وطبه شعر، وهذه دمعة واحدة من الدموع التي أريقت عليه لاندري معها أيهما أحق بالبكاء : الفنان .. أم الانسان ؟

(كذلك كان صاحبي « إبراهيم » ما ترك من حياتنا وجها إلا مسح بيد الشاعر عليه ، ولا موضعا إلا رف بجناحيه لديه ، ولا مروءة إلا بادر إليها متوثبا ، ولا مكرمة إلا استبق إليها ، صداحا طروبا ، ولا خيرا إلا كان لندائه فى مطالع المستجيبين ..

لقد جعل الطب أيضا شعرا ، وذهب فيه مذهبا مبتكرا ، إذ أدخل عليه الرفق ، فجعله صناعة حنان ، وانكمش فى دراسته ، ليجمع فيه بين المهنة والفن ، حتى لتزدحم دار علاجه بأهل الفاقة والحرمان ، وهو المنهال لهم ، لا يسألهم أجرا ، بل قد يشترى لهم الدواء ، ويذهب يبحث عن الغائبين منهم والمدنفين ..

كان إبراهيم ناجى طبيبا رحيما ، لا يأبه بالمال ، ولا يحفل بمركز العليل بل يؤثر الفقراء على أصحاب اليسار ، لأنه يجد فى علاج المساكين (إنسانيته) الكريمة ملتقية مع آدميته النبيلة ، كشـــاعر بديع ، ملهم الخاطر ، رقيق الوجدان ..)[1]

وليس هذا القول من فعل الموت ولهفته ، وليس هذا من تعلق النفس بالممنوع ، وتشبثها بالمسلوب الذى لا أمل لها فى استخلاصه ، وليس هذا من حنين الحى إلى الميت .. ليس هذا من فعل الموت الذى يضرم حب الميت فى قلوب الأحياء وكأنه ولد فجأة ودفعة واحدة .. ولكنها صفات الرجل ترفع من ذكراه بعد وفاته ، كما كانت تعلى من قدره فى الحياة .

---

(١) للاستاذ عباس حافظ .

إنها صفات الرجل التى وصفه بها رائوه ، فلم يزيدوا شيئا عما قاله فيه إبراهيم المصرى قبلهم منذ عشرين عاما ، حين كتب عن ناجى الشاعر يقول والعجب عليه باد :

« للدكتور إبراهيم ناجى [١] شخصية غريبة تستهوى كل من اتصل بها . شخصية شاعر قلق يحيط بها ويغمرها السر الذى قذف بها إلى هذا العالم والذى لا تنفك تتساءل عنه ، وتتطلع اليه ، مبهوتة مما ترى حولها من ألم وجمال ، شخصية خفيفة مجنحة لا تلبث أن ترف على الأشخاص والأشياء حتى تحلق فى أجواء غير منظورة أسعد ما تكون بالصمت والتأمل والصفاء » ..

تلتقى بالدكتور ناجى فتشعر كأن نسيما منعشا يهب عليك ، وتصافحه فكأنما هو يفتح صدره لك ، وتجلس اليه وكأنك فى حضرة روح حائر ، وتستمع لحديثه ، فيأخذك العجب من طهارة قلبه وبراءة نفسه وسلامة طويته وعذوبة صوته وطلاقة محياه ، فتذهل ويتضاءل شخصك فى عين نفسك ، ويعز عليك نقصك ، ولا يغريك فى النهاية الا يقينك بأن الخير الذى غادرك استقر فى سواك وتمثل نابضا حيا فى قلب هذا الشاعر النبيل الشاب !

وتحدق اليه فترى رجلا هزيلا متوسط القامة منكمش الأعضاء ، أصلع مقدمة الرأس ، ناعس العينين مديد الذقن ، أشبه بالصورة التى نعرفها للشاعر الإيطالى دانونزيو ، يمشى وكأنه يتعثر ، يصمت وكأنه غير موجود ، يقبع فى ركن من القهوة وغليونه فى فمه وكأن سنة من النوم قد استغرقته . ثم يتكلم بغتة ويفيض ولا يفتأ يتحرك ويتلفت ويلوح بذراعيه تلويحا عصبيا متداركا ، فتحس لفورك رحابة نفسه واضطرابها وضيقها بما تحمل .

وتسمعه يجادل ويحتد وصوته أبدا صريح ، وجبينه أبدا منبسط

---

(١) كتاب « صوت الجيل » للاستاذ إبراهيم المصرى ص ١٣٨ - ١٣٩ وقد صدر هذا الكتاب سنة ١٩٣٤ .

والابتسامة الرقيقة لاتفارق شفتيه ، وعينه الحالمة أصفى ماتكون محبة وعطفا ، فيخطر لك أن تداعبه بنكتة ظريفة ، وسرعان مايتبدل ويستضيء وجهه ويتألق وتشيع فيه نضارة معبودة كنضارة الأطفال ، فيأخذ فى إرسال النكتة تلو النكتة ، حاضر البديهة عبقرى الفكاهة جم الحيوية ، يضحك ضحكات حرة عريضة كأنما الفرح كله قد اجتمع فى فؤاده ، وكأنه قد نسى فى لحظة واحدة كل ما استشرفت عليه نفسه من هم الحياة ! » .

هذا جانب الخير فيه ، أما جانب الجمال فحديثه ذو فنون .. لقد هام بالحسن فى الإنسان والطبيعة .. وغناؤه للناعمات الغيد قد سمعناه فى فصل (شاعر الغزل) .. فليستعده من يشاء .. أما الطبيعة ففى حضنها غالبا كانت وقفاته وملتقاه حتى ليخيل إلى أن كمال هنائه فى جمعه وجه الحبيب الحسن والخضرة والماء .. وهو يطلب بدوره التجاوب مع ماحوله ، فيتساءل :

هل يسمع النيل إذ سرنا بجانبه والموج مجتمع فيه ومفترق
صوتا تماوج فى روحى تجاوبه من جانب القلب موج راح يصطفق
تظل تنهب أذنى من أطايبه كأنها من خفايا الغيب تسترق
ياجنة من جنان الله أعبدها لن تبعدى ولدى السحر والعبق [١]

إن الغصن الصغير يستوقفه .. و .. يجذبه ... ويوحى إليه ! كيف هذا ؟

لا تسلنى ، بل سله هو يقص عليك :

رأيت غصنا صغيرا منورا ونضيرا
أرق ماتشتهى النفـ ـس منظرا وعبيرا
جذبته جذب عنف قد كاد يذوى الزهورا

(١) ديوان الدكتور ناجى . ليالى القاهرة ـ قصيدة المنصورة ص ١٠٨

فلم ينَن الجـــذبى وكان غصنا صبورا
لـكننى لم أدعه حتى علا مسرورا
وارتد يضرب وجهى ضربا عنيفا مثيرا
وعاد ينشر فى الأيك ذا الحديث المثيرا
تضـاحك الأيك جذلان شامتا مسرورا
ضحك الذى بعد صبر قد فاز فوزا أخيرا[١]

هذه إحدى قصصه مع الطبيعة فيها اشتهاء المنظر واسترواح العبير ، وفيها المعابثة ، وفيها المساجلة وفيها التأمل والاندماج ، وأخيرا فيها الرمز ، كل هذا فى بساطة ينبل بها الفن لأنها بساطة الأستاذية المبدعة ..

وناجى يعرف كيف يتحد بالطبيعة . ومن مخطوطاته هذه الصورة من صور امتزاجه بها :

قاسمتنى الورقاء أحزان قلبى وشجاه ، وغردت حين غرد
ثم ولت ، والقلب كالوتر الدامى يتيم الدموع واللحن مفرد
ما بقائى ! أرى اطراد فنائى وانتهائى فى صورة تتجدد

وهذا الشاعر المولع بالجمال فى الطبيعة والانسان صدمه مرة كاتب بمقال عنوانه (شعراء الجمال محرومون من الجمال) وسلكه بينهم ..

فرد عليه متسائلا : على أى صورة تفهم الجمال ؟ ثم انبرى فى الدفاع عن الشعراء الذين لم يشأ حظهم أن يروا كاتب المقال ، ثم انتهى بنفسه مخاطبا الكاتب فى سخرية قائلا (... الصحيح أنك لم ترنى أبدا ، ولم تقرأ لى أبدا . فلماذا لا تزورنى لفنجان قهوة .. لعلى أعلمك وأقول لك ماهو الجمال !!

الجمال أيها المحرر العزيز فكرة ومعنى ، وحركة وحياة ، وإشراق ولمعان ..

(١) ديوان الدكتور ناجى . ليالى القاهرة ـ قصيدة غصن صغير ص ١٩٨

وليست الوحاشة فى أنف كبير ولا فى خلقة (زرابى) ولا فى شفة غليظة ولا فى نظارة سميكة ولا فى قوام « متداع » .

الجمال أيها المحرر العزيز هو ذلك الشيء المبهم الذى يطالعك من عينين ، ولو ذابلتين ، فينتزع إعجابك وأنت لاتدرى بالضبط لماذا ..؟

اجلس مع أى من هؤلاء الوحشين ، وتحدث إلى أى أحد منهم وأنت تعلم معنى الجمال ... جمال النفس ...) .

وليس الجمال وحده هو الذى يستهويه فان الأديب عنده هو الذى يعلمنا أن نحب الحياة (ورسالة الأديب تجعلنا نؤمن بجمال الوجود وبأنه مامن شيء إلاوله قيمة ، وأن القبح الظاهر قد يستر جمالا بارعا ، إن فى الشر صورة قد تكون أروع من الخير . وبعبارة أخرى أن الأديب الحق هو الذى « يرى » والذى يستطيع بدوره أن يجعلنا « نرى » ونحس ونلمس ونؤمن ..) [١] .

ها هو ذا ناجى فى رحابة قلب الفنان يشفق على كل شيء ويترفق فى الاتصال بالأشياء والناس ، ويسكب الفن سلامه ونوره فى نفسه فيلمح الجانب المضيء كما يدرك بنفاذه الجانب المظلم من كل شيء . ويغفر هذا من أجل ذاك . . كان يرى لكل شيء جانبين فاذا أخذ على المتنبي تصويره الدنيا كمعركة دامية لا أثر للرحمة فيها ولا للانسانية ولا للخير ، أردف قائلا فى عزاء (ولكن لابأس ، لنعلم أولادنا القوة والبأس والاعتداد بالنفس ، ولنتركهم للحياة بعد ذلك فسيرون فيها الخير والشر جارين ، والطيب والخبيث شيئين ضروريين متلازمين ، وفى رأيي أن الشعور بالقوة هو الذى يولد الرحمة ، لأن الضعف يولد الحقد والثورة الكامنة) [٢] .

---

(١) من مقال « أدب السخط وأدب الدموع » فى مجلة الفن

(٢) من مقال « معنى الشعر » فى مجلة الفن

وناجى الذى يحب الخير ويعشق الجمال ويدين بالرحمة ، يغالى بفنه على البخس وهو المستهين بالمال ، السخى به .. دعته محطه الاذاعة المصرية ليسجل ملحمته المعروفة « الاطلال » فأرسل اليها نسخة منها .. وقد سجلها مديرها فى ذلك الحين فى شريط استغرق نصف ساعة .. وأذاعتها مرارا .. كل هذا دون أن يفاتحها ناجى فى القيمة المادية لتسجيل الملحمة . . وإذا بالاذاعة تعرض عليه .. مائة وخمسين قرشاً .. أتدرى ما الذى فعله ناجى ؟ لقدغضب الفنان لفنه الذى صاغه من قلبه وروحه ثم ارتخصته محطة الاذاعة . . لقد ذهب ناجى إلى مدير الاذاعة وقال : إن هذا ثمن تغريدك ، لا ثمن شعرى أنا (١) .

وكان هذا آخر عهده بالاذاعة . .

على أنه لايعنيه التقدير الحكومى ، وتسأله عن السر فيقول :

(إنى مؤمن بهذا الشعب ، وقد كنت أعتب على صديق الدكتور زكى أبو شادى ضجره بالحياة فى مصر ، فقد تخطته الحكومة فى الترقية مرارا حتى مل الانكار وهاجر إلى أمريكا . كنت أعتب عليه هذا الملل وأقول له أن لدينا رسالة نؤديها للشعب وعلينا أن نؤديها مهما لقينا فى سبيلها . أما هو فهاجر يائسا ، وأما أنا فقد كانت تحترنى فكرة الهجرة من حين لحين ، فاذكر نفسى بما قلته لأبى شادى ، وهو أننى أحمل قلما أؤدى به رسالة لبنى قومى (٢)) .

إن (ناجى) يكبر الفن هذا الاكبار ، لأنه يحبه غاية الحب ، هل تصدق أنه كان يتداوى بالفن ! يتداوى به حقيقة لامجازا .. وكيف ؟ سأترك

---

(١) من مقال « دردشة أدبية » فى الجمهور المصرى

(٢) نفس المصدر

له الجواب . . (مرت الأيام ، وتقدمت بي السن ، واعترتني أمراض وأزمات فأخذت أتداوى بقراءة أغاني شاكسبير .. وهذه الأغاني لا يعرفها إلا القليلون لعمقها وصعوبتها ..

وكان تسليتي أن أقرأ وأترجم ، ولم أكد أفرغ منها حتى برئت من مرضي جسما ونفسا ، وعـــدت إلى شبابي ولا زلت محتفظا به وبأغاني صديقي شاكسبير !) [١]

وفي ناجي من الفنان روح الفكاهة ، فهو يطرب للنكتة ويعرف كيف يخلقها .. وهو يرى النكتة فنا ، ويستشهد على فنيتها برأي ذلك الفريق من علماء النفس الذين أكدوا أنها فن . إذ (الفن طاقة حيوية فائضة ، لا تتيسر إلا للذين وهبهم الله من الحيوية معينا طيبا لا تستنفده شواغل الحياة العادية ، ولا تبتلعه الدنيا بمتاعبها المألوفة ، وهم يستدلون على ذلك بأن النكتة الصافية كالفن العالي ، لا توجد إلا عند الأذكياء !...

وهو يعقب على هذا الرأي متسائلا : ولكن ما الذكاء ؟ لا شك أنه ضرب من البريق اللماح . إنه استخلاص لنتيجة ، وإدراك لمخرج ، أو ملاحظة لما يفوت الكثيرين ، أو حدة في الذاكرة ، ونحن نسميه تجوزا بسرعة البديهة ، ولو أن سرعة البديهة ضرورة لكل فنان أصيل ، ولكل رجل عبقري ، وهل النكتة البارعة إلا نوع من الخلق والابتكار ؟ فهي إذن فن ، لأنها وليدة الذكاء ؟ . . . ولا يعرف فنان أصيل إلا وله باع في النكتة [٢]) .

ومن طرائف ناجي تلك القصة التي يرويها : (اشترى العمارة التي أسكنها

(١) من مقال للدكتور ناجي بعنوان (كتب أثرت في حياتي) . . الجمهور المصري ١٦ - ٢ - ١٩٥٣

(٢) من مقال « فن النكتة » في مجلة الاثنين

بقال ثرى ، ثم شاء أن يسكن شقة فيها ، فأنذرنى بالاخلاء ورفضت بالطبع ، فسارت القضية إلى المحكمة وهناك تبين أن صاحب العمارة سيسكنها هو وأولاده ، وأن بناته على وشك الزواج ، فشرد ذهنى ، والتفت فجأة أسأل القاضى :

أريد أن أعرف أولا ، لماذا اختارنى وحدى دون سكان العمارة جميعا ؟ . ولم يكن محامى البقال قد أعد ردا لهذا السؤال الذى فوجىء به فالتجأ إلى اختراع سبب . .

(وهنا دمالة فى الوصف إذ المراد (اختلق) خففت ولطفت حتى صارت اخترع) ـ حين قال :

ـ الدكتور غنى ... ومالك عمارة فى شبرا .

فسألنى القاضى .

ـ هل أنا حقا أملك عمارة ؟

فقلت على الفور .

ـ عمارة إيه بس .. هو أنا حتى ، مالك ، أعصابى ؟

فضحك القاضى ، وضحك جميع الحاضرين ، وكان الحكم بعد ذلك فى صالحى .. (١)

* * *

حدث أن زارناجى الطبيب مريضا من المعذبين فى الارض ولما فحصه وقف على السر الرهيب .. إن العلة لم تكن سوى الجوع ! وأحنى الطبيب رأسه ثم رفعها ليطمئن مريضه . وأقبلت زوجة الرجل تسأل (الحكيم) عما به فطمأنها ثم أسرت يده إلى يدها خمسين قرشا وطلب إليها أن تشترى له بها دجاجة ولحما وتطعمه ثم انصرف .

---

(١) من مقال فن النكتة فى مجلة الاثنين .

وجرت الايام فى سيرها فإذا بناجى الشاعر يرى نفسه مصادفة أمام زوجة الرجل فى بعض الطريق .. فتذكر وسألها عنه وعما فعلته وهل أطعمته الدجاج كما وصف لها ؟ فقالت على الفور :

(لا أنا اديت الفلوس لحكيم بيفهم علشان يكشف عليه)

كان ناجى يروى هذه الطرفة فى مجالسه متفكها ويعقبها بضحكة طويلة مستغرقة فيها من سخرية العارف ، وألم الاسوان أضعاف ما فيها من سرور المتندر الخلى ..

وناجى ضحوك طروب . . . ولا يتنافى هذا مع شعره الحزين الباكى فإن أسرع الناس استجابة لأسباب الضحك عند الحاجة أعظمهم إحساسا بالألم .. وقد كان شعره صورة من نفسه ، ونفسه طالما عصرها الألم .. أما النكتة فهى تنفيس عن ذلك الألم من نوع آخر ، تنفيس ضاحك حين كان الشعر تنفيسا باكيا .. وقد رأينا طرفا من دعاباته عند عرضنا لشعره ، دعاباته التى نال بها آخرين .. وهاك دعابة ، ولكنها تدور حول نفسه وتمثل روح الفكاهة عنده .. (كل من رآنى من إخوانى يقول لى أنت طفل كبير ..وسنحت الفرصة لأستغل هذه الهيئة ، فتقدمت لمسابقة الطفولة ولكنى للاسف منعت من الاشتراك بحجة أنى طفل عجوز ، مع أن لدى من الأدلة ما يثبت أنى طفل ويجوز لى أن أتطفل على الطفولة .. فأنا أبدل أسنانى الآن ، ووصف لى الأطباء الأكثار من شرب اللبن والفيتامين المركز الذى يوصف للاطفال للين العظام .. وليس لى شعر ، وقد أخذ ينبت أخيرا ، والبس مريلة فى العيادة ، وأستطيع أن أضحك فى أعصب الأوقات ، وأنا شاعر والشاعر دائما طفل كبير .. فطمت من كل شىء إلا من صفقى الطبيعية ، وأطير من نفخة ، وتقلبنى الريح رأسا على عقب إذا اشتدت قليلا ، فبناء عليه أطالب (الاثنين)

بأن تشركنى فى مسابقة الطفولة ، وسواء اعتبرت طفلا أو متطفلا)(١) .

لشد ما تذكرنى هذه القطعة بأسلوبها وروحها وسخريتها بالمغفور له الأستاذ المازنى .

• • •

ومن نوادر الفنان فى ناجى الشاعر هذه القصة فاسمع إليه .

كنت فى امتحان البكالوريا أحفظ (هملت) كلها وأمثلها كأنى على مسرحه .. فلما جاء دورى فى الامتحان الشفهى سألنى الممتحن البريطانى كما يسأل الطلبة ، ما ذا تحفظ ؟ فقلت (هملت) قال : أسمعنى .. فنهضت واقفا وأخذت ألقى وأمثل .. ونسيت نفسى ونسى الممتحن نفسه ووقته ، حتى أفاق فنظر فى ساعته فاذا به قد استمع إلى ساعة كاملة بينما الناس فى الخارج يتساءلون عن سر هذا الامتحان الطويل لطالب واحد .

وأخيرا نظر إلى وقال : « هل جئت تمتحن فى البكالوريا .. إذهب بارك الله فيك » (٢).

• • •

وهو فنان طالبا فى الطب .. وكيف ؟ .. عنده لا عنـــدى الجواب :

(أخذت أدرس الطب على طريقة فنية ، فقد كنت أبتدع لرفاق الصور ، وأخترع لهم من فنون الكتابة ما يعينهم على الحفظ . وظللت كذلك إلى الساعة التى أكتب فيها هذا ، أزاول الطب كأنه فن . وأكتب الأدب كأنه علم ، أى أراعى فيه المنطق والتحديد والوضوح)(٣) .

---

(١) من مقال لناجى فى مجلة الاثنين بعنوان (طفل متطفل)

(٢) من مقال « كتب أثرت فى حياتى » الجمهور المصرى ١٦ - ٢ - ١٩٥٣ .

(٣) من مقال (الادب فى سيرجاله) للدكتور ناجى

وفى ناجى من الفنان تواضعه وإسرافه وليس التواضع والاسراف بصفتين موجبتين فى الفنان فقد يكون على النقيض .: إذ الفنان كشخص غير عادى لا يعرف الوسط الشائع بين الناس فهو فى صفاته إما فى هذا الطرف أو ذاك ...

وتواضع ناجى دليله أنه كان طبيبا وكان شاعرا وهما صفتان نابغتان ، ولكنهما لم تحفزاه إلى الفخر والتعالى بل كان لين الجانب رقيق الحاشية .. فلم يفتخر على عادة الشعراء .. ولم يحرز بطبه المال على كثرة مرضاه لأنهم لم يكونوا فى عينيه يوما وسيلة للكسب ، بل مجلى للرحمة والإنسانية والفنية فيه ...

وفى ناجى من الفنان شخصيته التى تمهر العمل الفنى بإمضاء غير منظور . وأحسب أن لست فى حاجة إلى من يدلك على القائل إذا سمعت هذه الأبيات :

إنى على يأس وكأسى كابى ... وعلى سرابى عاكف وشرابى[1]
ولقد فرغت من التعلل بالمنى ... إلا وميضـا فى الرماد الخابى
رمقا يعللنى بأنك عائد ... يوما لقلبى قبل يوم ذهابى[2]
حتى إذا الأقدار شئن وعدت لى ... راجعت نفسى واتهمت صوابى
أأرى شروقك فى أفول مغاربى ... وأشم عطرك فى ذبول شبابى

إنه ناجى بلامراء .. ناجى بيأسه وكأسه وسرابه وأمله وشكه وحذره .

---

(١) ديوان ناجى (ليالى القاهرة) يأس على كأس ص ٥٩
(٢) يجوز أن يروى هذا البيت :

رمــق يعللنى بأنك عائد ... يوما لقلبى قبل يوم ذهابى

على سبيل الالتفات ولعل هذا أحسن وقعا فى النفس . . ولكن لندع للشاعر بيته يتحكم فيه ذوقه وحده .

إنه ناجى وهذه ألفاظه واللحن من موسيقاه .

ويعرف ناجى « الانتاج الفنى » بأنه (ولادة وأن الفنان الصحيح يعانى فى سبيل فنه ما تعانى الأم حتى تضع مولودها ، وما يسبق ذلك المولود هو نفس مايحدث للفنان حين يهبط عليه الوحى فتملؤه الفكرة ولاتزال تطارده حتى تندمج فيه ، وما تزال تلح عليه حتى يخلص منها مانسميه العمل الفنى)[1].

ويذكرنى هذا التعريف بقول المغفور له الأستاذ المازنى (.. ليس ثم أدنى فرق فيما أعلم وأحس بين التمخض بالجنين ، وبين حركة التوليد فى النفس وكما تفتر المرأة بعد ان تضع طفلها ، ولا ينازعها فى ذلك الوقت شوق إليه أوتحس فرحا به ، وإنما يكون إحساسها بالفرج بعد الضيق التى كانت فيه ، والكرب الذى كانت تعانيه ، والراحة بعد الجهد والمشقة والعذاب ، والتفتير الذى يورثها إياه ما تجشمت ، كذلك يكون الأديب بعد أن يستريح من أزمة النفس والفكر)[2] .

والرجلان صادقان فيما ذهبا إليه .. إن كلا منهما يصف تجربة عاناها ويعانيها كل فنان أصيل .

وبعد .. فقد عاش ناجى حياته فنانا ، أحرى بالواصفين أن يقولوا فيه ما قاله هو فى الحكيم (قضى زهرة الحياة يغترف من معين السماء ، ويقتبس من النجوم ، يريد أن يرفع أهل الأرض إلى تلك العوالم المضيئة المتألقة العالية ..)[3]

سألوه عن شبابه فبرقت عينه وهو يتمتم .. (ظفرت بالجمال ، وعبدت

---

(١) « الخبر » العدد الصادر فى ١ - ٢ - ١٩٤٥

(٢) العدد ٢٣٠ من مجلة الرسالة . السنة الخامسة . ص ١٩٢٥ بتاريخ ٢٩-١١-١٩٣٧

(٣) كتاب « توفيق الحكيم » للدكتور اسماعيل أدهم والدكتور إبراهيم ناجى ص ٢١٦

الفن ، ونعمت بالموسيق ، ولعبت بالمـال ، واحتملت العذاب ، وتلذذت بالكفاح) .

الجمال والفن ، والموسيقى معابد فنان ...
واللعب بالمال طبيعة فنان ...
والعذاب والتلذذ بالكفاح ضريبة الفن ...
... وقد أداها وأوفى غاية الوفاء .

صور

وقبل أن نودع (ناجى) فى شعره ، بعد أن ودعناه فى الحياة ، يحسن بنا أن نتطلع إلى هذه الصورة القليلة من شعره .. وقد رأيت أن أخصها بركن خاص حتى لا تخطئها العين العابرة فى زحام المعرض الحافل . وإليك الصور بأسمائها :

حبيبان :

هل رأى الحب سكارى مثلنا   كم بنينا من خيال حولنا
ومشينا فى طريق مقمر   تثب الفرحة فيه قبلنا
وتطلعنا إلى أنجمه   فتهاوين وأصبحن لنا
وضحكنا ضحك طفلين معا   وعدونا فسبقنا ظلنا [1]

صورة فيها نبض وفيها مرح ، وفيها خفة تكاد تطير ..

فداء وولاء :

أيحرم حتى وهم حبك من رمى   بمهجته فى ناره دون إحجام
وأنفق فيه قلبه وشبابه   فلم يبق إلا الجرح والشفق الدامى
ومن عجب أحنو على السهم غائرا   ويسألنى قلبى متى يرجع الرامى [2]

(١) ديوان وراء الغمام قصيدة الوداع ص ٥٥

(٢) « « « مناجاة الهاجر ص ٨٨ - ٨٩

لقاء :

أيها النور سلاما وخشوعا   أيها المعبد صمتا وركوعا
ملكت قلبي ولي رهبة   عصفت بالقلب واللب جميعا
رب قول كنت قد أعددته   لك إذ ألقاك يأبى أن يطيعا
وحبيبي من عتاب في فمي   قد عصاني فتفجرت دموعا(١)

مناجاة :

قربي عينك مني قربي   ظلليني واغمريني بصفاها
وأريني هدأة البحر إذا ا.   .بسط البحر جلالا وتناهى
وأريني لجة السحر التي   ضل في أعماقها الفكر وتاها
ألمح اللؤلؤ في أغوارها   وأرى الطيبة تطفو في سناها
وأراها تخبأ الخلد لمن   باع دنياه وبالروح اشتراها(٢)

نداء :

وأناديك في التداني وما أطمع إلا أن يستجاب النداء
باسمك العذب انه أجمل الأسماء مهما تعددت أسماء
لفظة لا تبين تنطلق الأقدار عن قوسها ويرمي القضاء
وهي بين الشفاه ناى وتغريد وطير وروضة غناء
وهي في الطرس قصة تذكر الأحباب فيها وتحشد الأنباء(٣)

تدليل :

ما ذا صنعت بناظر لا ينثني   متطلعا متلفتا مرتادا

(١) ديوان وراء الغمام قصيدة الغد ص ١٠٠
(٢) المصدر السابق إلى س ص ١٥٥
(٣) ديوان ليالي القاهرة ملحمة السراب ص ٩١ - ٩٢

وأنا غريب فى الزحام كأننى آمال أجفان حرمن رقادا
ولقدترى عينى الجوع فماترى دنيا تموج ولا تحس عبادا
فاذا رأيتك كنت أنت الناس والأعمار والآباد والآمادا
وأراك كل الزهر ، كل الروض ، أنت لدى كل خميلة تتهادى(١)

حرية :

وعفا القيد عنك كفا وساقا فاذا الأرض كلها لك دارا(٢)

ذكرى :

يا زهرة عذراء تنشر عطرها وتذيع فى جفن الضحى أحلامها
لاقيتها والريح تجمع شملها والسحب تجمع برقها وغمامها
عانقتها ظمآن أشرب راحها واستقطرت قلبي لتملأ جامها
فإذا الرياح نزعنها عن خافق ضمت على أنفاسه أكمامها(٣)

وفاء :

لك فى خيالى روضة فينانة غنى على أغصانها شاديها
يحمى مغارسها ويرعى نبتها راع يجنبها البلى ويقيها
فاذا النوى طالت على وشفنى جرحى وعاد لمهجتى يدميها
نسق الخيال زهورها وورودها فقطفتها وشممت عطرك فيها(٤)

---

(١) ديوان ليالى القاهره . آمال كاذبة ص ١٠٤
(٢) المصدر نفسه السراب فى السجن ص ١٠١
(٣) من شعره المخطوط من قصيدة بعنوان « قصة حب »
(٤) المصدر السابق .

المراجع والمصادر

١ - دكتور إبراهيم ناجى — ديوان وراء الغمام
٢ - « — ديوان ليالى القاهرة
٣ - « — رسالة الحياة
٤ - « — كيف تفهم الناس
٥ - « — شعر مخطوط
٦ - « والدكتور إسماعيل أدهم — توفيق الحكيم
٧ - دكتور طه حسين — حديث الأربعاء
٨ - الأستاذ مصطفى سويف — الأسس النفسية للابداع الفنى
٩ - الأستاذ مصطفى السحرتى — الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث
١٠ - الاستاذ إبراهيم المصرى — صوت الجيل
١١ - صحف ومجلات : الرسالة - أبولو - الفن - الاثنين - الكواكب - الجمهور المصرى - الخبر

فهرست